الرسالة ٤٧١

الحقول والنظريات الدلالية الحديثة في لاميَّة العجم للطُّغْرائي

د. ليلى خلف السبعان
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية السابعة والثلاثون - ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

المؤلِّف:

د. ليلى خلف السبعان

ـ دكتوراه في علم اللغة العام – جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م.

ـ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة الكويت.

الإنتاج العلمي:

أولاً- (الكتب):

١ـ تطور اللهجة الكويتية (دراسة دلالية) طبع بالكويت، مطبعة ذات السلاسل: ط١، ط٢، ط٣. والمطبعة العصرية.

٢ـ معجم ألفاظ اللهجة الكويتية، الطبعة الأولى، ذات السلاسل، الكويت، وط٢/٢٠٠٢م الجمعية التخصصية للدراسات والأبحاث- الكويت.

٣ـ لغة الإعلام المعاصر، ط١، ١٩٩٩م، دار الوزان للطبع – الكويت، ط٢، سنة ٢٠١٠ بالكويت، ومطبعة جرير بالأردن ٢٠١٣م.

ثانياً- البحوث:

١ـ بحث: ازدواجية اللغة، في الملتقى التنسيقي للجامعات العربية سنة ٢٠١٣م، وصدر في كتاب مجموعة أبحاث عن مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، بالمملكة العربية السعودية، الرياض.

٢ـ بحث: «لغة الشباب العربي في وسائل الاتصال الحديثة»، وصدر في كتاب (بحوث ومقالات حول اللغة الهجين العربيزي، والفرنكفو)، بأقلام مجموعة من الباحثين في الشأن اللغوي في الوطن العربي، عن مركز الملك عبد الله ٢٠١٤م.

٣ـ بحث: تطور اللهجة في كتاب مقاربات لغوية، صادر عن جامعة الملك سعود، ومن منشورات جمعية اللهجات والتراث الشعبي، سنة ٢٠١١م.

٤ـ ملف عن المشهد الثقافي في الكويت، (عدد خاص) في مجلة الكاتب العربي لاتحاد الكتاب العرب، ج.م.ع، العدد ٧٩، واحتوى نماذج من فنون الأدب: قصة، وشعر، ودراسات.

٥ـ الصوت والإيقاع في شعر الخنساء، حوليات كلية الآداب، جامعة الملك سعود، بالرياض، المملكة العربية السعودية، مايو ٢٠١٦، (قيد النشر).

٦ـ منهج العدناني والزعبلاوي في التصويب اللغوي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٣م.

٧ـ بحث الإيقاع والدلالة في شعر لبيد بن ربيعة، محكم : مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، دولة الكويت (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) ٢٠١١م.

المحتـوى

- **الملخص:** ١٣
- **المقدمة** ١٥

أهمية البحث ١٥

مسوغات البحث ١٦

الإشكالية والفروض ١٦

منهجية البحث ١٨

حدود البحث ١٨

الدراسات السابقة ١٨

تعريف بالشاعر الطغرائي وقصيدته اللامية ١٩

- **مدخل الدراسة** ٢٣

أولاً: الحقول الدلالية في القصيدة ٢٨

● **حقل الموجودات** ٢٩

أ- الموجودات الحية ٣٠

١- الألفاظ الدالة على الإنسان وما يتصل بها ٣٠

٢- الألفاظ الدالة على الحيوان وما يتصل بها ٣٧

٣-الألفاظ الدالة على النبات ٤١

ب- الموجودات غير الحية ٤٢

١-الألفاظ الدالة على الجمادات بأنواعها ٤٣

٢-الحقول الفرعية للألفاظ الدالة على الموجودات غير الحية ٤٧

- الألفاظ الدالة على الماء ٤٧

-الألفاظ الدالة على القوى الطبيعية بأنواعها ٤٩

- الألفاظ الدالة على الأدوات الحربية بأنواعها ٥٠

● **حقل المجردات** ٥٢

١- الألوان ٥٢

٢- ثنائية التفاؤل واليأس ٥٥

٣- ثنائية الفضيلة والرذيلة ٥٦

٤- ثنائية الشجاعة والخوف ٥٨

٥- ثنائية الحياة والموت ٦١

● **حقل الأحداث** ٦٤

أ- الحركة والثبات ٦٤

ب- الزمن ٦٦

١- الأفعال الماضية ٦٧

٢- الأفعال المضارعة ٦٩

٣- الأفعال الدالة على الاستقبال ٧٢

ثانياً: مظاهر التعدد الدلالي ٧٥

١-ظاهرة الترادف ٧٥

٢-ظاهرة الطباق/التضاد ٧٩

٣-ظاهرة الاشتراك اللفظي ٨١

النتائج ٨٥

التوصيات ٨٩

الهوامش ٩١

قائمة المصادر والمراجع ٩٧

الملخص

تقوم الدراسة –في مجملها– على دراسة لسانية تعتمد الحقول الدلالية في محاولة للكشف عن بعض السمات المخفية بتفرقها في النص، وكان السبيل إلى ذلك من خلال رد كل مفردة إلى معجمها الحقلي الذي تنتمي إليه، ثم النظر في السمة البارزة في هذه المفردات، ومحاولة إيجاد علاقة بين السمات البارزة في الحقول المتناولة، وانعكاسات هذه العلاقة على فهم النص المدروس، وهو لامية العجم للشاعر الطغرائي.

وقسمت الدراسة إلى قسمين؛ الأول يتناول الحقول الدلالية، وفيه تمت دراسة كل من حقل الموجودات (الحية وغير الحية) وحقل المجردات وحقل الأحداث، والثاني دراسة مظاهر التعدد الدلالي، وفيه الترادف والتضاد والمشترك اللفظي، وتم تحديد الدلالة في كل حقل من حقول الدراسة، وتحديد الدلالات الهامشية والمركزية والسمات الانتقائية في كل دلالة منهما.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، تم استخلاصها من إحصائيات المعاجم والحقول الدلالية، منها على سبيل المثال: اعتماد الشاعر على الدلالة المركزية أكثر من الدلالة الهامشية للألفاظ، وسيطرة ضمير الغائب على حقل الأحداث إزاء المتكلم والمخاطب، وخلو حقل الألفاظ الدالة على الحيوان من الطيور والزواحف والحشرات، وكثرة استعماله الألفاظ الدالة على الإبل.

كما أن الشاعر كان ذا طبيعة سلمية غير ميالة للحرب، وأن الحركة هي التي سيطرت على تفكيره في أثناء نظمه القصيدة أكثر من السكون والثبات، وأنه دائم التفكير بالرحيل، والبحث عن طرق الخلاص كيفما كانت، وأنه اعتمد في معجم الموجودات على فئات دون غيرها، فكان حضورها مهمّاً، وكان تهميش بعضها ذا دلالة على الحال النفسية المتردية للشاعر الطغرائي آنذاك.

ولقد كانت قصيدة الطغرائي مادة دسمة للدراسة المعجمية الدلالية؛ وذلك لعناية الشاعر ألفاظها، وحسن انتقائه لمفرداتها، ولعل هذا الجرس الموسيقي الذي وشى به أشطار قصيدته قد أعطاها سمة الخلود الأدبي

المقدمة

تُعَدُّ الحقول الدَّلالية خطوة مهمة ومتطورة عن معاجم الموضوعات؛ لأنَّ لها دوراً مهمّاً في إحكام تنظيم المفردات وفق مفاهيم جامعة لها، كما من شأنها أن تسهم في تتبع التغيرات الدلالية التي حملتها الكلمات في السياق النصي، وتعد هذه الحقول تمثيلاً لغويّاً للعلاقات المنطقية في الكون؛ حيث إنها تنسج من الألفاظ شبكاتٍ دلاليةً تبرز العلاقة بين الألفاظ ودلالتها، بالإضافة إلى مرجعيتها.

ويرى الدكتور أحمد عزّوز أن «ترتيب الكلمات في مجموعات يرتبط بفطرة الإنسان، ومن خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوّن أجزاء هذه المجموعة أو تلك، حتى يتسنى لنا فهمها، ووضع قوانينها، ثم الحكم عليها والاستنتاج»[1].

وإنه وقع الاختيار على لامية الطغرائي لتطبيق دراسة معاجم الحقول الدلالية عليها؛ لما تميزت به اللامية من متانة السبك وجودة الحبك، مما يؤهلها لدراسة بحثية تكشف عن أبرز السمات الدلالية لمفرداتها، وعلاقتها بالسياق من خلال الحقول الدلالية، وتحليل هذه الحقول بالكشف عن التحليل التكويني، وبيان السمات الانتقائية الدلالية المركزية والهامشية لألفاظ الحقل الواحد.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من جانبين؛ أولهما مكانة اللامية في التراث العربي، وحضورها في كثير من كتب الأدب والمختارات، وصداها المتردد مع كل الأجيال؛ مما أعطى نصها سمة الخلود، وأهلها من بين نصوص كثيرة لتكون موضوع بحث ودراسة، خصوصاً أن جميع شراحها اقتصروا على اتباع المنهجية نفسها تقريباً في شرح القصائد، بإعراب مفردات البيت، ثم إيضاح بعض مفرداته، ثم معناه العام.

والجانب الآخر هو عدم الاعتماد على المنهجية نفسها التي اتبعها شارحوها من قبل، بل باتباع أساليب الدراسات اللغوية في التحليل والتفسير، استناداً إلى مستويي البنية والتركيب، وعلمي الدلالة والحقلية المعجمية.

مسوغات البحث:

لم تكن فكرة اختيار لامية العجم لتكون موضوعاً للبحث اعتباطية أبداً، فكما بيَّنت أهمية القصيدة للشراح والباحثين، فإن محاولة الكشف عن تفاسير جديدة بين طيات أبيات القصيدة تدفعني إلى دراستها دلاليّاً وحقليّاً، وغاية الأمر الوصول إلى تأويلات ربما تؤيد فكرة شارح سابق، أو تعارضها. والمسوغ الآخر للدراسة هو أنه في أثناء قراءتي في أحد الشروح على اللامية لفت انتباهي أن الشك راود بعض النقاد في أصالة بعض أبيات القصيدة، وخصوصاً المقطع الغزلي الذي يتبع المقدمة مباشرة؛ إذ تذرعوا بأن المقام ليس مقام غزل، وهنا ما كان مني إلا أن أعود لقراءة القصيدة بحثاً عن إمكانية حدوث هذا الخلل، وإذا ما كان الطغرائي نفسه قد أدخل بعض الأبيات على قصيدته لاحقاً.

الإشكالية والفروض:

إذا كان سبب انتشار القصيدة وشهرتها الواسعة بعض ما تضمنته من الحكمة، أو لأنها لقيت اهتماماً استدعى دراستها وشرحها من كبار الأدباء، وعلماء اللغة في التاريخ العربي أمثال العكبري، والصفدي، والدماميني، والطبري، والصنهاجي وغيرهم، مما جعلها محط أنظار للوقوف على الأسباب التي دعت إلى هذا الاهتمام، فهل كان الشاعر الطغرائي موفقًا في المواءمة بين المبنى والمعنى، أو أن استعمالاته لمفردات تراكيب السياق لم تكن متوازنة في بعض أجزاء النص؟

فإذا كانت عناية الطغرائي بالوصول إلى المعنى بسياق فني جميل تتطلب منه الاهتمام بالمحسنات البديعية كالطباق والجناس والترادف، وما إلى ذلك، فهل اعتنى بمفردات معجمه اللغوي العناية نفسها، أو أن الشاعر استند إلى معاجم الطبيعة والحياة والنفس والموت والموجودات، وما إلى ذلك استناداً ليس إبداعياً بقدر ما هو طاقة الشاعر، ومشاعره النفسية التي ستظهرها مفردات المعاجم التي استعملها؟

وإذا كان الشاعر قد نظم لاميته بعد حادثة عزله من منصبه السياسي، ثم نفيه خارج بغداد، كما بين ذلك ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية: «وفيها- أي في سنة 497هـ- عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي، ونفاه إلى غزنة»[2]. فإن احتمال أن يكون الشاعر قد أجرى تعديلات على القصيدة لاحقة لتاريخ نظمه واردٌ، وبخاصة أن الشارح الأول للقصيدة محب الدين العكبري لم يتناولها إلا بعد زهاء خمسين عاماً من نظمها، ولم يصل إلينا اسم أحد شرحها في أثناء حياة الطغرائي.. ولعلنا هنا سنستطرد قليلاً بقولنا: إن عملية الاهتمام بالأدب وبالفن بعد وفاة الأديب أو الفنان، كما حصل مع نص الطغرائي، أمر طبيعي وارد الحدوث، ومستمر إلى يومنا هذا، ولم تُكتشف الأسباب الحقيقية لهذا السلوك المتشدد من النقاد والشراح إزاء الأدباء الأحياء، وكأنما النص ميت ما دام الأديب حيّاً، ويحيا النص بعد موت صاحبه.

فإذا كان الأمر محتملاً للتأويل في أن يكون الشاعر قد أضاف أجزاءً على قصيدته لاحقًا، فهل يمكن اكتشاف هذه الإضافة من دراسة البنية المقطعية والتركيبية للقصيدة، أو من خلال الحقول الدلالية فيها؟ ونحن هنا لسنا بصدد إثبات أصالة أجزاء النص الشعري، أو نفيها عنه، فتلك من مهام التحقيق، وليست مهمتنا إبداء الرأي في ترجيح رأي على آخر، ولكن مهمة البحث هي دراسة مستويي البنية والتركيب، وعلمي الدلالة والحقلية المعجمية، بتقسيم أبيات النص إلى الوحدات

البنيوية الأساسية التي شكلت فكرة النظم، ثم الوقوف على دلالات السمات البارزة التي تميز الوحدات في الحقول المعجمية، كل على حدة.

منهجية البحث:

سأعتمد المنهج الوصفي التحليلي القائم على الدلالات والحقول المعجمية، وتكمن منهجية الدراسة التي تقدمها نظرية الحقول الدلالية للمعجم في جمع ألفاظ الدلالة بحسب تقسيمها الحقلي، ثم ترتيب موادها شجريّاً، ثم تحديد العلاقات بين ألفاظ الحقل الواحد والحقول الدلالية الأخرى، ومدى تأثير ذلك في سياق النص ومعناه، والحالة النفسية للشاعر، والظروف المحيطة بنصه الشعري[3]. ثم تحديد الدلالة المركزية والدلالة الهامشية في الحقول الدلالية التي سيتم استنباطها من متن القصيدة.

حدود البحث:

1- **زمانيّاً:** في زمن القصيدة؛ أي في النصف الثاني من القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري.

2- **مكانيّاً:** البادية العربية بعامة، ومدينة بغداد (الزوراء) بخاصة؛ إذ نظم الشاعر منها قصيدته اللامية.

4- **موضوعيّاً:** قصيدة لامية العجم للشاعر الطغرائي الواقعة في تسعة وخمسين بيتاً من بحر البسيط، وقد تم اعتماد النسخة المحققة من الدكتور علي جواد الطاهر بطبعتها الأولى المنشورة عام 1967.

الدراسات السابقة:

1- أحمد عبد الهادي محمد، لامية العجم وشروحها: دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير من قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2006.

2- رحيم عبد علي فرحان، لامية الطغرائي دراسة أسلوبية، «مجلة القادسية للعلوم الإنسانية»، المجلد الثاني عشر، العدد 3، 2009، ص 56-43.

3- عبدالحفيظ مصطفى عبدالهادي، التفاعل النصي في شعر الطغرائي، «مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان»، العدد 27، 2010، ص -133 210.

4- عبدالرحمن أبو سلامة، التناص في شعر الطغرائي، دار زهدي للنشر، الأردن، 2015.

5- عدي حسين علي، شعر الطغرائي دراسة لغوية، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة المستنصرية – كلية التربية، 2008.

6- ميثاق حسوني سلطان، دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي، «مجلة الآداب»، العراق، العدد 101، ص 347-324.

تعريف بالشاعر الطغرائي[4] وقصيدته اللامية:

هو السيد فخر الكُتَّاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقب بمؤيد الدين الأصبهاني المنشئ، المعروف بالطغرائي، والليثي، ولد في أصفهان لأسرة عربية الأصل، ويتصل نسبه بالعالم اللغوي أبي الأسود الدؤلي، وكان الطغرائي غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر. والطغرائي: بضم الطاء المهملة، وسكون الغين المعجمة، وفتح الراء وبعدها ألف، هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه، وهي لفظة أعجمية.

وكان الطغرائي ينعت بالأستاذ، وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل، ولما جرى المصاف بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همذان، وكانت النصرة لمحمود، فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي

وزير مسعود، فأخبر به وزير محمود، وهو الكمال نظام الدين، أو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي.

والطغرائي له ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمئة يصف حاله، ويشكو زمانه، والتي هي[5]:

بحر البسيط

1 أصالةُ الرأي صَانتني عَنِ الخَطَلِ وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْني لَدَى العَطَل

2 مَجْدي أَخِيْرًا وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرعٌ والشَّمسُ رَأدَ الضُّحى كالشَّمسِ في الطَّفَلِ

3 فِيْمَ الإقامَةُ بالزَّورَاءِ لا سَكنِي بها ولا نَاقَتي فِيها ولا جَمَلِي؟

4 نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكفِّ مُنفرِدٌ كالسَّيفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الخَلَلِ

5 فَلا صَديقَ إليهِ مُشْتكَى حَزَني وَلا أَنِيْسَ إليهِ مُنتَهَى جَذَلي

6 طَالَ اغْتِرَابي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي وَرَحْلُها وَقَرَى العَسَّالةَ الذُّبُلِ

7 وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نَضْوَى وَعَجَّ لما تَلْقَى ركَابي، وَلَجَّ الرَّكْبُ في عَذَلي

8 أُرِيْدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِيْنُ بها عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ للعُلا قِبَلِي

9 والدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالي وَيُقْنِعُني مِنَ الغَنِيْمَةِ بَعْدَ الكَدِّ بِالقَفَلِ

10 وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ بِمِثْلِهِ غَيْرُ هَيَّابٍ وَلا وَكِلِ

11 حُلْوُ الفُكَاهَةِ مُرُّ الجدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ البَأْسِ مِنْهُ رقَّةُ الغَزَلِ

12 طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وَرْدِ مُقْلَتِه وَالليلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّومِ بالمُقَلِ

13 وَالرَّكْبُ مِيْلَ عَلَى الأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ صَاحٍ، وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الكَرَى ثَمِلِ

14 فَقُلْتُ: أَدعُوكَ للجُلَّى لِتَنْصُرَني وَأَنْتَ تَخْذُلُني في الحَادِثِ الجَلَلِ

15 تَنَامُ عَنِّي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وَصُبْغُ اللّيلِ لَم يحُلِ

16 فَهَلْ تُعِيْنُ عَلَى غَيٍّ هَمَمْتُ بِهِ وَالغَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَاناً عَنِ الفَشَلِ

17 إِنِّي أُرِيْدُ طَرُوقَ الحيِّ مِنْ إِضَمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

18 يَحْمُونَ بالبِيْضِ والسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ سُودُ الغَدَائِرِ حُمْرُ الحلْيِ والحُلَلِ

19 فَسِرْ بِنَا في ذِمَامِ الليلِ مُعْتَسِفاً فَنَفْحَةُ الطِّيْبِ تَهدِينا إلى الحُلَلِ

20 فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَا وَالأُسْدُ رَابِضَةٌ حَوْلَ الكِنَاسِ لها غَابٌ مِنَ الأَسَلِ

21 تَؤُمُّ نَاشِئَةً بالجزْعِ قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ وَالكَحَلِ

22 قَدْ زَادَ طِيْبُ أَحَادِيثِ الكِرَامِ بِها مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ

23 تَبِيْتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ في كَبِدٍ حَرَّى وَنَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلَى القُلَلِ

24 يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لا حِرَاكَ بِهِمْ وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ وَالإِبِلِ

25 يُشْفَى لَدِيْغُ العَوَالي في بيُوتِهِمُ بِنَهلةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ وَالعَسَلِ

26 لَعَلَّ إِلمَامَةً بالجزْعِ ثَانِيَةً يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيْمُ البُرْءِ في عِلَلِي

27 لا أَكْرهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ قَدْ شَفِعَتْ بِرَشْقَةٍ مِنْ نِبَالِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

28 وَلا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيْضَ تُسْعِدُنِي بِاللمْحِ مِنْ خِلَلِ الأَسْتَارِ وَالكُلَلِ

29 وَلا أَخَلُّ بِغَزْلانٍ أُغَازِلُهَا وَلَو دَهَتْنِي أُسُودُ الغِيْلِ بالغَيَلِ

30 حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ عَنِ المعَالي وَيُغْرِي المرْءَ بِالكَسَلِ

31 فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فاتَّخِذْ نَفَقاً في الأَرْضِ أو سُلَّماً في الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

32 وَدَعْ غِمَارَ العُلا للمُقْدِمِيْنَ عَلَى رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بالبَلَلِ

33 رِضَا الذَّلِيلِ بِخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةٌ وَالعِزُّ عِنْدَ رَسِيْمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ

34 فَادْرَأْ بها في نُحُورِ البِيْدِ جَافِلَةً مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللُّجْمِ بالجَدَلِ

35 إِنَّ العُلا حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ فِيْمَا تُحدِّثُ أَنَّ العِزَّ في النَّقَلِ

36 لَو أنَّ في شَرَفِ المأْوَى بُلُوغَ مُنىً لمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوماً دَارَةَ الحَمَلِ

37 أهَبْتُ بالحَظِّ لَو نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً وَالحظُّ عَنِّيَ بالجُهَّالِ في شُغُلِ

38 لَعَلَّهُ إنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أو تَنَبَّهَ لِي

39 أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمَالِ أرْقُبُهَا مَا أضْيَقَ العَيْشَ لَولا فُسْحَةُ الأمَلِ

40 لم أرْتَضِ العَيْشَ وَالأيَّامُ مُقْبِلَةٌ فَكَيْفَ أرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ؟

41 غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيْمَتِهَا فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيْصِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ

42 وَعَادَةُ النَّصْلِ أنْ يَزْهَى بِجَوهَرِهِ وَلَيْسَ يَعْمَلُ إلا في يَدَيْ بَطَلِ

43 مَا كُنْتُ أُوْثِرُ أنْ يَمْتَدَّ بي زَمَنِي حَتَّى أرَى دَولَةَ الأوغَادِ وَالسَّفَلِ

44 تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوطُهُمُ وَرَاءَ خَطْوِيَ إذْ أمْشِي عَلَى مَهَلِ

45 هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أقْرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الأجَلِ

46 وَإنْ عَلانِي مِنْ دُونِي فَلا عَجَبٌ لي أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

47 فاصْبِرْ لَها غَيْرَ مُحتَالٍ وَلا ضَجِرٍ في حَادِثِ الدَّهرِ مَا يُغنِي عَنِ الحِيَلِ

48 أعْدَى عَدُوِّكَ أدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ فَحَاذِرِ النَّاسَ واصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ

49 فإنَّما رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا مَنْ لايُعَوِّلُ في الدُّنيا عَلَى رَجُلِ

50 وَحُسْنُ ظَنِّكَ بالأيَّامِ مُعْجِزَةٌ فَظُنَّ شَرّاً وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

51 غَاضَ الوفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسَافَةُ الخُلْفِ بَينَ القَوْلِ والعَمَلِ

52 وَشَانَ صِدْقَكَ عندَ النَّاسِ كِذْبُهُمُ وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بمُعْتَدِلِ؟

53 إنْ كَانَ ينجَعُ شَيءٌ في ثَبَاتِهِمُ على العُهُودِ فَسَبْقُ السَّيفِ للعَذَلِ

54 يَا وَارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أنْفَقْتَ صَفْوَكَ في أيَّامِكَ الأُوَلِ

55 فِيْمَ اقْتِحَامُكَ لُجَّ البَحْرِ تَرْكَبُهُ وَأنْتَ تَكْفِيْكَ مِنْهُ مَصَّةُ الوَشَلِ

56 مُلْكُ القَنَاعَةِ لا يُخشَى عَلَيه ولا يُحتَاجُ فيهِ إلى الأَنْصَارِ وَالخَوَلِ

57 تَرْجُو البَقَاءَ بِدَارٍ لا ثَبَاتَ بِهَا فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

58 وَيَا خَبِيْراً عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعاً اصْمتْ ففي الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ

59 قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

مدخل الدراسة:

يمكن تحديد الحقول الدلالية بأنها «مجموعة من المعاني، أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر، أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى؛ لأن الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إن معناها يتحدد ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة»[6].

وحيث إن تحليل الحقول الدلالية قائم على تحديد الدلالات المركزية والدلالات الهامشية في كل حقل معجمي، نستعرض بشكل مبسط تعريف كل من الدلالتين؛ فالدلالة المركزية – كما يعرفها جونثان كلر– هي: «فعالية معرفية تؤلف الشيفرات من مجموعة الأعراف والتقاليد، وهذه الشيفرات يمتلكها أعضاء ثقافة، أو مجتمع معين، على أنها القدرة اللغوية لهم....، والشيفرات إذا قبلها المجتمع تخلق عالمًا (ثقافيّاً) يرتبط وجوده بنظام ثقافي يجسم الطريقة التي يفكر بها المجتمع ويتكلم، وحين يتكلم يوضح مدلول فكرة عن طريق الأفكار الأخرى»[7].

وإلى جوار تسميتها بـ (الفعالية المعرفية) فإنه يُعَبَّر عنها أيضاً بمصطلح آخر هو (المعنى التّقني) أو (المعنى المنطقي)، ويحدده محمود السعران بأنه: «يقوم على شيفرة من الشيفرات الكلامية التي يجعلها الاستعمال اجتماعية وتواضعية إلى حد ما، ونستطيع أن نعد أنه كلما تم الإجماع على معنى بعض الإشارات تأخذه هذه

درجة الشيفرة التقنية، والإشارات التقنية تدل على نسق من العلاقات الموضوعية والواقعية والحقيقية»[8].

أما الدلالة الهامشية فهي: «تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، وهي لدى فرد من البيئة الاجتماعية توحي بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن آخر من البيئة نفسها؛ لأن تجاربهما مع الكلمة مختلفة»[9].

وإذا كانت الدلالة المعجمية تعنى بدراسة الكلمات وعناصرها ومعانيها، في سياقها الحقلي، فإن ذلك لا يعني أن المعجمية محصورة في اللفظة المفردة، بل إن الحصول على الدلالات يتطلب وجود «الوحدة المعجمية بعناصرها الثلاثة؛ أولها المفردة، وثانيها التركيب، وثالثها التلازم، وأهم ما يمكن الاتكاء عليه هو أن مفهوم الوحدة المعجمية أشمل من مفهوم المفردة، فإن كل مفردة وحدة معجمية، ولكن ليست كل وحدة معجمية مفردة»[10].

بيد أن هذا لا يلغي أهمية المفردة بوصفها العنصر الأساس في التحليل والدراسة البنيوية؛ حيث إنها الأساس الذي تقوم عليه عملية فرز الدلالات بين مركزية وثانوية، وهو ما بيَّنه د. علي زوين بقوله: «ولما كانت (الكلمة) تعد أصغر (وحدة دلالية) في النظرية الدلالية الحديثة اتضحت لنا أهمية دراسة الكلمات من حيث احتواؤها على معان ثابتة ثبوتاً نسبيّاً»[11].

ولعل التركيز على دراسة الكلمة المفردة، أو دراسة النص من خلال تقطيعه إلى أجزائه البنيوية الرئيسة، يعد من أهم النظريات اللسانية التي تخضع النص الأدبي للتفكيك، ثم الربط بين الأجزاء التي تم فصلها من خلال حقول دلالية تجمع قواسمها المشتركة، لتقف على العلاقة المتأتية من هذا الجمع بعد الفصل.

لكن هذا لا يعطي ذريعة لأن تكون الكلمة وحدها ذات دلالة مفردة دائمة التأثير والتغيير في معنى النص، بل إن سلكها ضمن السياقات المتنوعة هو ما يعطيها التأويلات الدلالية التي لولاها لاقتصرت كل كلمة على معنى أصلي واحد.

«وأحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها، ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها، أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كل كلمات اللغة»[12].

وقد اهتم علماء اللغة قديماً وحديثاً بالكلمة المفردة؛ كونها عنصراً رئيساً من عناصر البناء اللغوي، بل إنها حظيت عندهم بمكانة عظيمة في الدرس اللساني، فقدموا لها تعريفات مختلفة، ومن هؤلاء (الزمخشري ت 538هـ) الذي عرفَّها بأنها: «اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع؛ الاسم والفعل والحرف»[13]. ويعرفها ابن عقيل (ت 769هـ) بأنها: «اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وقولنا: الموضوع لمعنى أخرج المهمل كديز. وقولنا: مفرد. أخرج الكلام، فإنه موضوع لمعنى غير مفرد»[14]. ويعرفها الأشموني (ت 929هـ) بأنها: «اللفظ المفرد أي الصوت المشتمل على بعض الحروف، مفيد بالوضع فائدة يحسن السكوت عليها، فخرج باللفظ غيره من الدال ما ليس بلفظ مثل الإشارة والخط»[15].

أما الدكتور تمام حسان فإنه يقترح تعريفاً للكلمة يتعلق بوظيفتها، ودلالتها في سياق النص العربي، قائلاً: «إنها صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تحذف، أو تحشى، أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق، وترجع في مادتها غالباً إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد»[16].

وإذا كان الاتجاه البنيوي لدراسة اللغة قد وجه الدراسات اللسانية في النصف الثاني من القرن العشرين للاهتمام بدراسة المنطوق، أو الكلام، طبقاً لما قرره دي سوسير، فإن هذا لا يعني إهمال النصوص المكتوبة بوصفها أثراً ينضوي على دلالات ومضامين تعكس الواقع الثقافي الذي أفرزته هذه النصوص، ولهذا لا يمكن اكتشافها إلا بالنظر إليها ككل، ويعود الفضل في هذا التصور إلى البنائية التي صاغت نظرتها إلى النص بناء على تصور دي سوسير للغة في أنها تعمل بوصفها نظاماً من العلامات.

ولابد لنا في الدراسة من التعريج على المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح، والقواسم المشتركة بين مجموعة من الحقول الدلالية؛ ليتمكن الباحث من إدراجها في نسق واحد ضمن الدراسة.

إن مصطلح الحقول الدلالية يشير إلى مجموعة الكلمات المتقاربة في معناها، والتي تتميز باحتوائها على عناصر، أو ملامح دلالية مشتركة؛ إذ تكتسب الكلمة بذلك معناها من علاقاتها بالألفاظ الأخرى التي تشترك معها في الحقل الدلالي نفسه؛ لأنّ اللفظة لا يتحدد معناها الدقيق بمعزل عن حقلها الدلالي، بل نحتاج إلى النظر إليها مع أقرب الألفاظ إليها في إطار مجموعة واحدة.

وليس هذا المنهج اللغوي وليد جهود البنيويين الغربيين؛ فالعلماء العرب سبقوا علماء الغرب إلى فكرة تقسيم مادة المعجم إلى حقول دلالية، «فقد عرف علماء اللغة القدامى الرسائل اللغوية، دون الإشارة إلى المصطلح؛ إذ تضمنت تصنيفاً شاملاً لألفاظها منذ العصر الجاهلي إلى ظهور الإسلام، فالدارس يلفي ما يدل على تصنيف الموجودات بمجموعها»[17]، وهذه النظرية – بلا شك – نظرية دلالية حديثة، سواء عند العلماء الغربيين، أو عند العلماء العرب.

ومن أمثلة ذلك: كتاب «الإبل»، وكتاب «الخيل» للأصمعي، ثم ظهرت بعد ذلك معاجم مرتبة بحسب المعاني، منها: «المخصص» لابن سيده، و«فقه اللغة» للثعالبي، وغيرهما من الرسائل اللغوية، ومعاجم الموضوعات، بيد أن مهمة علماء اللغة الغربيين اقتصرت على تحديد معالم هذا العلم، وعنونته وتضمينه الدرس اللغوي منهجاً وطريقة.

والأمر الآخر الذي شجع على جعل هذا العلم في صدارة علوم اللغة، هو الأثر الدلالي الذي تعطيه دلالة مفردات النص الأدبي على مرجعية الأديب، وثقافته وبيئته ونفسيته، ومدى مقدرته على التحكم في استحضار مفردات معاجمه من ذاكرته، فالمفردات فطريّاً مرتبة في ذاكرة كل إنسان ترتيباً حقليّاً دلاليّاً، كحقل الألوان الذي يشتمل على الأحمر ودلالاته، والأصفر ودلالاته، والأخضر ودلالاته، وهكذا، وحقل الحيوانات الأليفة ونقيضتها المفترسة وغير ذلك، وكل حقل يضم مجموعة من الكلمات ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية معينة، كالتضاد، والترادف، والتكامل... إلخ[18].

ففي أثناء كتابة أي نص أدبي ينهل الأديب أو الشاعر أو الكاتب من مرجعيته المكتسبة ليستعمل مفردات الطبيعة والحياة وثنائياتهما ليصوغ منها متناً أدبيّاً متسق المعنى، ولولا أن المفردات، أو الكلمات المعجمية مرتبة بحسب حقولها الدلالية لما استطاع الأديب استعمالها بشكل صحيح موافق للمعنى المطلوب عنده، ثم حسن الاختيار منها، بل سرعته للانتقاء بما يتلاءم مع طبيعة نصه.

«وترتبط نظرية الحقول الدلالية بمعاجم المعاني ارتباطاً وثيقاً؛ لأن الفكرة الأساسية للحقل تتمثل في محاولة توزيع المداخل المعجمية إلى موضوعات ومعالجتها ضمن حقول مفهومية متواردة»[19].

ومعاجم الموضوعات تمثل - بحق - تأليفاً معجميّاً في إطار ما نطلق عليه في الدراسات الدلالية الحديثة بالتقسيم الحقلي، أو بالتوزيع في ضوء نظريات الحقول الدلالية؛ التي لم يكن العلماء العرب القدامى يطلقون عليها ذلك.

وتقوم خطة التصنيف – في دراسة القصيدة موضوع البحث – على أساليب عدة، تنطلق جميعها من الدلالة المعجمية القائمة على دراسة البنية اللغوية، ودور الاصطفاف الكلمي في إيضاح المعنى العام للنص أولاً، ثم دوره في الكشف عن المعاني الخاصة المستترة خلف هذا الاصطفاف ثانياً، ثم تحديد الدلالات المركزية، أو السمات الانتقائية المركزية من الدلالات الهامشية، والسمات الانتقائية في النص، ومدى اعتماد الشاعر على واحدة منهما مقابل الأخرى.

تتناول الدراسة القصيدة من خلال محورين:

- **الأول:** الحقول الدلالية: حقل الموجودات بنوعيها: الحية وغير الحية، وحقل الأحداث: الحركة والزمن.
- **الثاني:** مظاهر التعدد الدلالي: الترادف، التضاد، التشارك اللغوي.

أولاً- الحقول الدلالية في القصيدة:

إذا كان الحقل بالمفهوم اللغوي العام يقصد به المساحة من الأرض المخصصة للفلاحة، فإنه لا يعلم يقينًا من وظف لأول مرة مصطلح الحقل الدلالي في اللسانيات، ولكن بحسب «دوشاك» التشيكي فإن «ستور» يكون من الأوائل الذي استعملوا المصطلح في كتابه الذي صدر سنة 1910، وتبرز ملاحظة «سوزان أوهمان» بشأن توظيف المصطلح أن استعماله كان سنة 1874، على يد السويدي «تيجنر»[20].

ويعد تراير «أول لساني تجلت في بحوثه وتطبيقاته أمهات أفكار دي سوسير فيما يتعلق بنظرية الحقول الدلالية، وتقوم طريقة تحليله على أن كل مجموعة ألفاظ اللغة المعينة مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة كلمات، أو حقول دلالية، وكل منها يغطي مجالاً محدداً لحقل المفاهيم، وكل حقل من هذه الحقول، سواء أكان معجميّاً أم تصوريّاً، يتكون من وحدات متقاربة الدلالة، مثل تجاور حجارة الفسيفساء»[21].

الحقل الدلالي اصطلاحًا – كما قدمه الدكتور أحمد مختار عمر –: «هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، وعرفه أولمان بقوله: هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة، وليونس بقوله: مجموعة جزئية لمفردات اللغة»[22].

وحين القول بنظرية الحقول الدلالية، فالمقصود هو «مستوى المادة الخام التي يستلهمها الدارس منهجاً تجريبيّاً على موضوع من الموضوعات اللسانية أو الأدبية؛ أي أن النظرية هي مجموعة منظمة ومتناسقة من المبادئ والقواعد والقوانين العلمية التي تهدف إلى وصف وشرح مجموعة الأحداث والظواهر»[23].

وإن المنهج الذي سنتبعه في تطبيق الحقول الدلالية على قصيدة الطغرائي قائم على قواعد (معجم العهد الجديد اليوناني)، و«الذي يقوم بإعداده فريق من اللغويين لتحديد معاني الكلمات الواردة فيه، ويعد من بين أحدث التصنيفات للحقول الدلالية عند الغربيين؛ فهو يضم تحليل خمسة عشر ألف معنى من معاني العهد الجديد لخمسين ألف كلمة مصنفة إلى مائتين وخمسة وسبعين حقلاً. وعلى الرغم من قصوره لعدم شمول مفرداته على جميع مجالات اللغة إلا أنه نموذج لمعاجم الحقول التي تعتمد على التصنيف المنطقي والأساسي التسلسلي»[24].

وتقسم الدراسة الحقل الدلالي إلى شقين؛ الأول: حقل الموجودات، والثاني: حقل المجردات، وتفصيل تطبيقهما على النص على النحو الآتي:

● حقل الموجودات:

ويضم المفردات التي تشير إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي وما فيها من أشياء طبيعيّة، أو صناعية، مصنفة في حقول فرعية يربط بعضها بعضاً، وربما أمكن

تحديد إطارها من خلال ما تعني كلمة موجودات، التي تنطوي عليها من الوجود الواضح الظاهر للعيان، أو للحواس الأخرى.

ويمكن إحصاء الحقل الدلالي الخاص بحقل الموجودات الحية في لامية الطغرائي على النحو الآتي:

أ- الموجودات الحية: تشتمل على:

1-الألفاظ الدالة على الإنسان وما يتصل بها:

إن التصنيف بناء على الموجودات الحية في النص ليس طارئاً؛ فقد ألف كثير من علماء اللغة كتباً عن الإنسان، وما يتصل به، ومنهم: مالك بن عمرو بن كركرة، ثم النضر بن شميل، وأبو عمرو الشيباني، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، ومحمد بن صبيب (ت 245 هـ)، ومحمد بن القاسم الأنباري (ت 382 هـ)[25].

ولأن الدراسة القائمة على الحقول الدلالية إحصائية في حصر مفردات الحقول، فإننا نقف على المفردات التي تشير إلى الإنسان، وما يتصل به في القصيدة موضوع الدراسة، فكانت على النحو الآتي:

- **القرابة الأصلية:** (ناء عن الأهل)، والأهل اسم جمع لا واحد له من لفظه[26]، والشاعر يشكو بعده عن أهله، فعلى الرغم من الاتصال الروحي والقرابة الثابتة بين الشاعر وأهله، فإن هذا الاتصال لم يشفع له بأن يكون اتصالاً في المكان أيضاً، فالغربة نأت بالشاعر عن أقرب الناس إليه، وهم أهله، ورمته في بغداد وحيداً.
- **العلاقات الاجتماعية:** (فلا صديق)، إذا خسر الإنسان القرب من أهله، وكتب عليه العيش وحيدًا في الغربة، فلابد من شخص يعوض على الشاعر هذا الفقد، ويضمد شيئاً من جراحه النفسية من جراء وحدته، والأجدر أن يكون هذا

صديقاً، يقاسم صديقه همومه وأحزانه قبل أفراحه ومسراته، لكن الشاعر يؤكد ألا صديق أيضاً، فلا أهل ولا صديق.

- **العلاقات الثانوية البعيدة:** (وذي شطاط، الكرام، رماة، بني ثعل، يغري المرء، أناس، جزاء امرئ، أقرانه، فحاذر الناس، فإنما رجل الدنيا، على رجل، عند الناس، الأنصار والخول، الهمل) وهي إشارات إلى من لا يمتون للشاعر بقرابة أو صداقة أو جوار، بل هم مجهولون غائبون، فهم العموم غير المقصودين بأعينهم، فحتى الصديق الذي يفترضه الشاعر في قوله: (وذي شطاط)، فهو ليس صديقاً حقيقيّاً للشاعر، ولا شخصاً مقرباً منه، فالشاعر نفى الصداقة عن نفسه من قبل، أما البقية فجميعها ألفاظ عموم لا تشير إلى شخص بعينه.

الأعداء والأصدقاء:

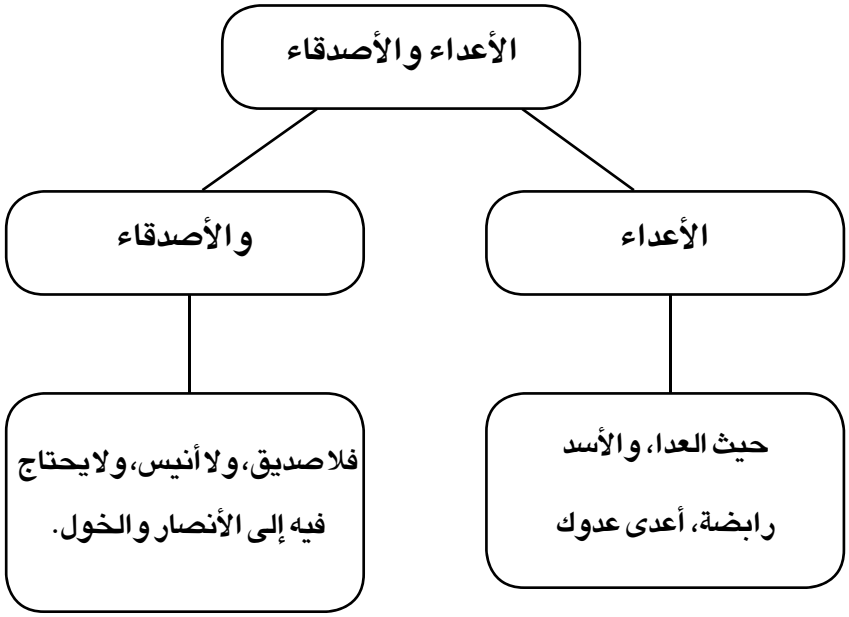

نلاحظ تروي الشاعر في ذكر أعدائه، فلم يشر إليهم إلا في مواضع ثلاثة، في اثنين منها صرح فيهما بذكر الأعداء لفظاً لا حقيقة (حيث العدا، أعدى عدوك)، أما الثالث فتضمن إشارة رمزية ذات بعد إيحائي (الأسد رابضة). وأجد لهذا الاستعمال مخرجاً دلاليّاً؛ حيث كان الشاعر في منصب سياسي رفيع – كما أسلفنا الذكر– وعلى علم بدخائل أصحاب النفوذ آنذاك، فأراد التروي في الإشارة الصريحة إليهم خوفاً على نفسه منهم، مع أنه كان أكثر تصريحاً، ومباشرة بإظهار العداوة في قصيدته البائية التي نظمها قبل هذه القصيدة[27].

أما في الحقل الدلالي للأصدقاء، فيظهر إحساس الشاعر بالوحدة جليّاً، وحدة تأتت من جانبين؛ الأول يتعلق بغربته عن أهله، والآخر يتعلق بغربته عن مدينة بغداد، وهي المكان الذي بلغ شأوه فيه مرتبة عالية في المجتمع، ثم استقراره في (غزنة) المنفى الأخير.

كما نلاحظ اقتصار الشاعر على ذكر إشارة واحدة لذوي القربى الخاصين به، في قوله: (ناءٍ عن الأهل)، وجعل ذلك سبباً لتبرير رغبته عن الإقامة ببغداد إضافة إلى فقره وعوزه، ولعل إشارته إلى الأهل في مكان وحيد تدل على أن شوقه لهم ليس الغاية التي يبحث عنها، ولا تلك التي تدعوه للسفر عن بغداد، بل إن الأسباب الكثيرة تضافرت، ومنها غربته عن أهله، لكن في مقدمتها أحلام الشاعر بالعلا والرفعة التي لم يجدها لاحقاً إلا وهماً وسراباً.

وإن اعتماد الشاعر على النفي قبل ذكره للموجودات الحية المتعلقة بالإنسان، كما في قوله: (ناءٍ عن الأهل، لا صديقَ، لا أنيسَ)، يؤكد وحدته ونأيه بنفسه عن أهله وأصحابه؛ حيث ينفي قربه من أهله، ثم ينفي وجود صديق، أو خليل له، ونفيها يدل على وجودها مسبقاً في حياته، بيد أنه تخلى عنها لاحقاً طوعاً أو كرهاً، أو ربما تخلى أصدقاؤه عنه بعيد عزله من منصبه كما هي عادة القلة الحذرين في هذا الشأن.

ولعل استعمال النفي بهذه الطريقة في أكثر من مكان في القصيدة، بأن يأتي على نفي الصفة، بدلاً من إثبات نقيضها باسمه الصريح، انعكاس لا إرادي من نفي الشاعر بعيداً عن بغداد إلى (غزنة) بعد حادثة العزل.

ووردت إشارات الشاعر إلى الإنسان عموماً أكثر من إشاراته إلى الفئة الخاصة بالأهل والأقارب والأصدقاء؛ فمن ذلك عنايته بمحاورة صديقه المفترض؛ إذ بث له همه وحزنه، مبيناً له الأسباب التي تدعوه إلى التوقف عن السير قدماً فيما كان عليه من البحث عن الرفعة والمجد، وأن الوقت قد فات على ذلك، ومن ذلك ما جاء فيما يتعلق بأعضاء الإنسان، وأساليب توظيفها في النص بين الحقيقة والمجاز:

- (**صِفر الكفِّ**): وإن كانت الكف تشير إلى راحة يد الإنسان دون غيره، فإن استعمالها هنا جاء في سياق الأمثلة والحكم، ويقصد فيها أنه لم يستطع جمع شيء من المال طوال فترة غربته في بغداد.
- (**في كبد حرَّى**): الكبد في أصله: «عضوٌ في الجانب الأَيمن من البطن تحت الحجاب الحاجز، له وظائفُ عِدَّةٌ أَظهرُها إفراز الصفراء، وفلانٌ تُضْرب إِليه أَكبادُ الإبل: يُرْحَل إِليه في طلب العلم وغيره، والكَبِدُ: وَسَطُ الشيء ومعظمُه»[28]، وقد أخذت الكبد هنا معنى دلاليّاً غير الذي هي عليه، فرضه السياق، فالكبد الحَرَّى: أي العَطْشَى أو المفجوعة الحزينة.
- (**وليس ينفع إلا في يدي بطل**): وإن كانت اليد حقيقية في هذا الموضع، والمقصود بها اليد المحسوسة لصاحب السيف، فإنها أخذت دلالات أخرى إضافة إلى دلالتها الأصلية، فاليد هي العضو البشري الوحيد القادر على استعمال السيف، والقتال به ببراعة ومهارة، ولهذا اقترنت اليد بالسيف، والضرب به، وليست كل الأيادي قادرة على الضرب بالسيف بالحرفة عينها؛ إذ يعود ذلك إلى العزيمة والمضاء من السياف نفسه.

والأصل في السيف أن يكون زهوه بزينته وجوهره، لكن الغاية الحقيقية منه هي القطع، والمضاء في الضريبة، ولا يكون ذلك منه إلاّ إذا كان في يدي بطل يضرب به، والطغرائي هنا يصف نفسه في هذا البيت فيقول: إنني في ذاتي كالسيف المجوهر، لما حويته من العلم، وملكته من ممارسة الأمور وسياستها، ولكن لا نفع فيها لأنها كامنة، فلو باشرت أمراً، وتولّيت ولاية، ظهرت محاسني إلى الخارج، وبرز في الظاهر نفع ما عندي، وهذا تمثيل جيّد.

- واستعمل الشاعر (**العين**) أيضاً في أكثر من موضع في قصيدته، فمنها قوله: (تنام عيني وعين النجم ساهرة)، فالعين الأولى هي العضو الحقيقي المقصود للإنسان وهو الشاعر، والعين الثانية مستعارة من العين الأولى في كناية عما أراد أتنام عنّي، وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أقاسيه وأكابده من الفكر.

ويرد أيضاً استعماله للعين في قوله: (برشقة من نبال الأعين النجل)؛ أي وقد ثُنيت برشقة من سهام العيون المتسعة، فعلى الرغم من أن استعمال العين حقيقي في هذا الموضع فإن الشاعر استعان بالصورة الفنية بتشبيه الأعين بالرماة المهرة.

وفي حديثه عن حظه العاثر وكيف أنه يعنى بالجهال والذين هم دون الشاعر منزلة كما يظن، وذلك في قوله: (لعله إن بدا فضلي ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنبه لي)؛ إذ إن العين المقصودة عائدة على الحظ، فشبه الشاعر الحظ بالإنسان، وحذف المشبه به مع الإبقاء على شيء من لوازمه ألا وهو العين.

وكلمة عين من أشهر الكلمات في المعجم العربي ذات الدلالات المتنوعة بحسب السياق الذي ترد فيه، وقد أشار إلى ذلك أحمد مختار عمر في حديثه عن المشترك اللفظي: «ومن أمثلة ذلك في العربية كلمة «عين» التي تستعمل حتى الآن في أكثر من معنى دون خوف الالتباس اعتماداً على دلالة السياق، فقولنا: تفجرت عين في

الصحراء غير قولنا دمعت عين فلان، ومن ذلك العبارة المنقولة عن ابن عباس حين أصابت الناس زلزلة: أزلزلت الأرض أم بي أرض (أي رعدة)»[29].

وفي هذا السياق الخاص بالألفاظ الدالة على الإنسان وتوابعها، نجد أن الشاعر اعتمد على الدلالة المركزية حيناً، وعلى الهامشية حيناً آخر، ونذكر من ذلك:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
عدوك	العداوة سلوك فطري يحمل الدلالة السلبية ضرورةً.
الصديق	الصداقة علاقة اجتماعية تحمل دلالة الإيجاب
الأهل	تحمل في الأصل الذي وردت فيه وفي السياق دلالة القرابة حصرًا.
العين	العضو الحيوي القائم بعملية الإبصار، وقد وردت بهذه الدلالة في قوله (تنام عيني).
يدي بطل	فاليدان هما الطرفان الأماميان من الجسد، ودلالتهما لم تخرج عن هذا السياق.

أما الدلالة الهامشية فقد جاءت على النحو الآتي:

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
لا صديق، لا أنيس	نفي الصداقة في دلالة تلمح إلى أن العداوة قد تكون من بعض الأصدقاء.
صفر الكف	حملت دلالة هامشية مستعملة من قبل في سياق الأمثال، فدلالة الكف الحسية حملت دلالة هامشية أشارت إلى العوز والفقر.
كبد حرى	حملت دلالة هامشية مستعملة من قبل في سياق الأمثال، فدلالة الكبد حسية كعضو من الأعضاء الداخلية للجسد، وأشارت هنا إلى شدة الحزن وعظم الفقد.
العين	خرجت عن المعنى الأصلي لها في قوله: (وعين النجم ساهرة) فحملت دلالة هامشية بكناية عن المراقبة ويقظة الليل من حوله.

أما السمات الانتقائية في حقل الألفاظ الدالة على الإنسان وتوابعها، فتوزعت أيضاً بين سمات انتقائية مركزية، وسمات انتقائية هامشية، وهي على النحو الآتي:

السمات الانتقائية المركزية	البعد الدلالي
العدو	تثير المفردة مجموعة من السمات السلبية في ذهن المتكلم، والمتلقي على السواء؛ لما تحمله المفردة من دلالة سلبية رئيسة في البنية التصورية عند كليهما.
الصديق	تثير المفردة سمات إيجابية في الضرورة، من الإخلاص، والوفاء، والبذل.
الأهل	تثير المفردة مجموعة من التوابع التي تحملها الدلالة، كالأب، والأم، والأخ، والزوجة، والأبناء، والأحفاد.

أما السمات الدلالية الهامشية فقد جاءت على النحو الآتي:

السمات الانتقائية الهامشية	البعد الدلالي
لا صديق، الأنصار والخول	البعد الدلالي المركزي إيجابي في أصله لما يحمله من صورة ذهنية إزاء هذه المفردات، بيد أنها وردت في السياق منفية حاملة لدلالات احتمال غدر أصدقاء الشاعر له، وهذا يضيف دلالة سلبية إلى مجموع دلالات إيجابية، لكنها تبقى هامشية وعرضية في السياق الذي ترد فيه.

نلاحظ من تحليل الدلالات اعتماد الشاعر على كلتا الدلالتين؛ المركزية والهامشية، واستعماله للسمات الدلالية المركزية أكثر من استعماله للسمات الدلالية الهامشية، وهذا يكسب دلالة النص منطقية في عرض المعنى.

2- الألفاظ الدالة على الحيوان وما يتصل بها:

اعتنى علماء اللغة منذ القديم بالتصنيف المعجمي للألفاظ الدالة على الحياة الطبيعية في النصوص، الأدبية أو الدينية، وقد نال التصنيف في الحيوان النصيب الأكبر في تلك المعاجم فألّف العلماء في بيان أنواع الحيوانات، وفصائلها، وأسمائها، وصفاتها وطبائعها... وكانت الخيل والإبل مما أكثروا الاهتمام به[30].

ومن أوائل المؤلفات في ذلك: كتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني (ت206هـ)، وكتاب النحل للأصمعي (ت 213هـ)، وكتاب الحيَّات والعقارب لأبي عبيدة (ت 210هـ)، وكتاب الجراد للأخفش الأصغر (ت315هـ) وكتاب الذباب لابن الأعرابي (ت 231هـ)، ومصنفات أخرى كثيرة خصصت للحيوان، أو خصصت أبواباً وفصولاً منها للحيوان[31]، أما مواطن ذكر الحيوانات في نص الطغرائي، فإنها كانت موزعة بين الحيوانات الأليفة، والحيوانات المفترسة، وهي على النحو الآتي:

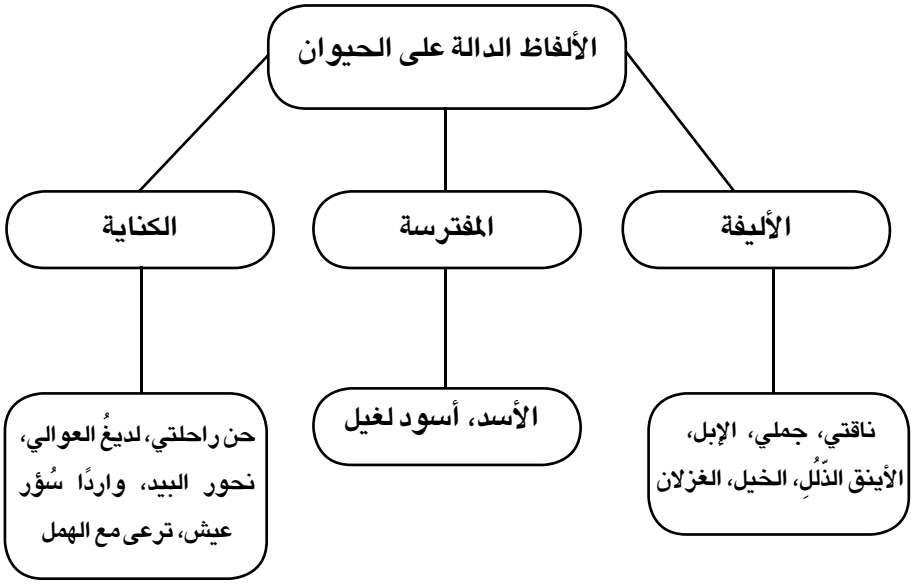

من خلال استعراض المفردات الخاصة بالموجودات الحيوانية نلاحظ اقتصار الشاعر على أربعة أنواع فقط، هي «الإبل، الخيل، الغزلان، الأسود»، التي يمكن اعتبارها العناصر الرئيسة للحياة الحيوانية في الصحراء عموماً، وإن كان ثمة من إشارة أو دلالة يمكن أن يوحي به هذا الاستعمال، هو تمسك الشاعر ببيئته واعتزازه بها، وواقعيته، وبعده عن اللجوء إلى الخرافة، أو الموجودات خارج إطار بيئته.

وجاءت الدلالات المعجمية في حقل الألفاظ الدالة على الحيوان موزعة على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
ناقتي، جملي، الإبلِ، الأينق الذّلُلِ، الخيل	وهي من جنس الحيوانات الأليفة المسخرة لخدمة البشر، وتحمل في مجملها دلالة الترحال؛ حيث إنها كانت الوسيلة الوحيدة للسفر في عصر الشاعر.
الغزلان	من الحيوانات الأليفة ذات الشكل الحسن واللطافة والسرعة الفائقة في العدو، وجاءت دلالتها المركزية في السياق متوافقة مع ما اختزن في ذهن المتكلم حول دلالة استعمالها.

أما الدلالة الهامشية فقد جاءت على النحو الآتي:

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
الأسد، أسود الغيل	من الحيوانات المفترسة الفتاكة، موصوفة بالشجاعة والإقدام، وتلقب بملوك الغاب، ويغلب التشبيه بها في سياق المدح والفخر، وإن تحميلها دلالة العداوة والغدر يعد دلالة هامشية قياساً إلى الدلالة المركزية للمفردة التي تتمحور حول الفخر.

أما السمات الانتقائية في حقل الألفاظ الدالة على الحيوان، فتوزعت أيضاً بين سمات انتقائية مركزية وسمات انتقائية هامشية، وهي على النحو الآتي:

السمات الانتقائية المركزية	البعد الدلالي
لديغُ العوالي	تثير المفردة صورة سلبية في ذهن المتكلم والمتلقي على السواء، لما تحمله مفردة (لديغ) من دلالة تعود إلى العقرب الذي لم يعرف له صفة إيجابية في نفسه، فسلبيته مركزية الدلالة في السياق.
ترعى مع الهمل	يثير الفعل (ترعى) صور الرعي على اختلاف الأنعام الراعية، كالأغنام أو الإبل.
نحور البيد	تثير المفردة (نحور) صورة الإبل دون سواها، ثم تأتي البيد مقترنة بها لارتباط المفردتين إحداهما بالأخرى، الإبل والبيد.

أما السمات الدلالية الهامشية فقد جاءت على النحو الآتي:

السمات الانتقائية الهامشية	البعد الدلالي
الأُسد، أسود الغيل	الأصل في دلالة الأسد الافتراس، والأصل في الكناية به في مقام الفخر والمدح، ودلالته هنا سلبية جاءت في الغدر والعداوة.

استعمل الشاعر الإبل والمفردات الدالة عليها (الإبل، الجمل، الناقة، الأينق الذلل، راحلتي)، خمس مرات في النص، فهي الطاغية على المعجم الحيواني قياساً إلى غيرها من عناصر هذا المعجم، ولعل الحالة الخاصة التي يعيشها الشاعر في رغبته بالهجرة، وعزمه على الرحيل عن بغداد، قد حرك غريزته ومرجعيته الثقافية لاستحضار مستلزمات الرحلة، والتركيز عليها أكثر من سواها، فمن هنا فقد اعتمد على الإبل أكثر من سواها؛ حيث إنها تسمى سفينة الصحراء، والراحلة الأساسية في السفر بين البوادي آنذاك.

أما عن دلالة المفردة في سياقها، فإنها تنوعت بتنوع السياق الذي وردت فيه، ففي قول الشاعر: (لا ناقتي فيها ولا جملي)، فهي استعارة من المثل العربي السائر، والمقصود هنا ألا مطمع للشاعر في بغداد ليستمر بالإقامة فيها، وخاصة أنه لا يملك فيها أهلاً ولا مالاً.

وفي سياق آخر وردت الإبل للدلالة على كرم أصحابها، فجاء ذكرها لإبراز صفات صاحبها لا صفاتها، وذلك في قوله: (وينحرون كرام الخيل والإبل)، وقدم الخيل؛ لأنها أشرف من الإبل، وقد وصف أهل هذا الحي بما هو أعلى صفات المدح، والكرم غايته أن ينحر للضيف الخيل والإبل، بخلاف ما ينحر فيه دون ذلك من الضأن والمعز.

وفي قوله (والعز عند رسيم الأينق الذلل): أي أن العز موجود عند سير النوق المذللة في الأسفار، وهذا حثّ على الحركة والتنقل من مواطن الذل، وهذه دلالة غير تلك التي وردت في السياقات السابقة، والخيل أيضاً لم تأت في سياقها الأصلي الدال على الفروسية والبطولة، بل دلالة على الكرم، وبأنها طعام للأضياف.

أما الأُسد فإن الشجاعة والإقدام هي الصفة التي يكنى بها عن الأسد في الأصل، بيد أن هذا المعنى ليس ثابتًا، بل يأتي في معاني يفرضها السياق الذي ترد فيه، وفي هذا النص الشعري وردت في موضعين: الأول دلالة على أن الأسد عدو يجب حذره، بل قتاله إن لزم الأمر، وذلك في قول الشاعر: (فالحب حيث العدا والأسد رابضة، حول الكناس لها غاب من الأسل). والثاني دلالة على غدر الأسود، فأخرج الشاعر الأسود من دلالتها الأصلية المشيرة إلى الشجاعة والسيادة إلى الغدر والعداوة، وذلك في قوله: (ولا أخل بغزلان أغازلها ولو دهتني أسود الغيل بالغيل).

كما أننا نلاحظ غياب العناصر التابعة لحقل الموجودات الخاص بالحيوانات،

كالطيور والحشرات والزواحف؛ إذ لم يتطرق لها الشاعر أبدًا، مع أنه كان بإمكانه استعمال العقاب أو الصقر اللذين هما من بيئة الشاعر، فضلاً عن دلالتهما على الرفعة والمجد في معظم المضامين التي وردا فيها.

3- الألفاظ الدالة على النبات:

لم يعن الشاعر بمعجم النبات في قصيدته، على الرغم من أن النبات يعد جوهر الإيجابية في دلالته على الخضرة والنضارة، وبث الحياة، بل إن وجود سائر الموجودات متعلق بكثافة حضور النبات وانتشاره.

وقد اقتصر الشاعر في استعماله الحقل الدلالي للمعجم النباتي على المواضع التالية:

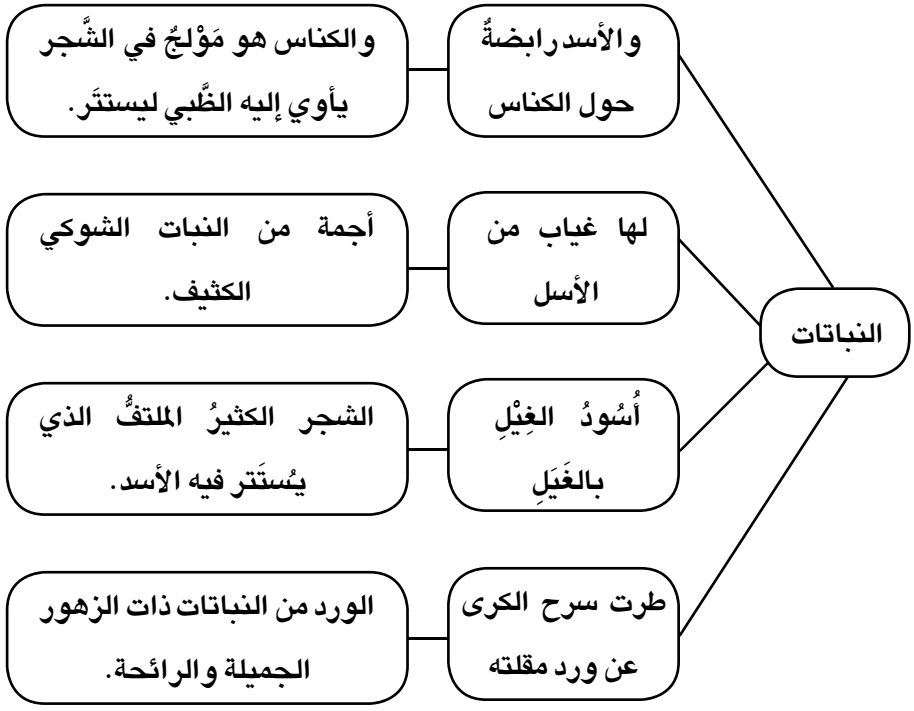

نجد أن استعمال الشاعر للألفاظ الدالة على النبات جاء في سياقين؛ الأول يحمل دلالة الحماية والملاذ الآمن، وهو ما يبحث الشاعر عنه في غرضه، والآخر دلالة الجمال والهدوء والراحة النفسية، وهي ما يبحث الشاعر عنها أيضاً، بيد أن استعماله لألفاظ النبات الدالة على الملاذ الآمن جاء أكثر من تلك الدالة على الجمال، والتي كانت في موضع واحد فقط.

أما الدلالات فقد توزعت بين مركزية وهامشية على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
الكناس	لم يخرج عن الدلالة الأصلية التي تعني الشجر الملتف الذي يأوي الظبي إليه.
غاب من الأسل	لم يخرج عن الدلالة الأصلية، والتي تعني أجمة من النبات الشوكي الكثيف.
بالغيل	لم يخرج عن الدلالة الأصلية، التي تعني الشجر الكثير الملتفّ الذي يُستَتر فيه الأسد.

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
عن ورد مقلته	خرجت عن الدلالة الأصلية التي هي نوع من النبات إلى استعمال صفات هذا النبات كناية في التشبيه.

نجد أن الشاعر اعتمد على الدلالة المركزية التي تحملها الألفاظ أكثر من اعتماده على الدلالة الهامشية، ويفيد هذا المنطقية في الطرح.

ب- الموجودات غير الحية:

دلالة استعمال مظاهر الطبيعة الرومانسية يستمدّ أدوات فنّه من خلال الطبيعة، التي تشتمل على:

1- الألفاظ الدالة على الجمادات بأنواعها:

وتضم الأرضيات والسماويات، فأما الأرضيات فهي كل ما دل على عنصر من عناصر الطبيعة المقترنة بالأرض، كالصحراء والجبال والوديان والهضاب والسهول والتراب وما إلى ذلك. والسماويات فهي كل ما دل على عنصر من عناصر الطبيعة المقترنة بالسماء، كالشمس والنجوم والكواكب والغيم، وما إلى ذلك.

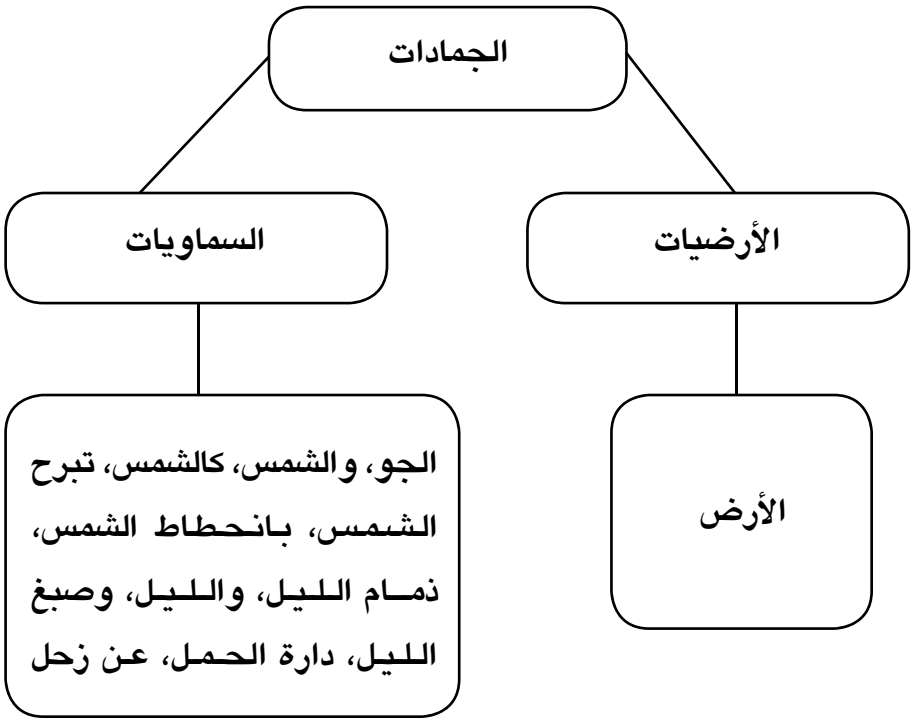

إن السمة البارزة في التقسيم السابق واضحة بتغليب الشاعر عناصر السماويات على نظيرتها من الأرضيات، فهل يعد هذا دليلاً على رغبة الشاعر عن السكنى في الأرض على اتساعها؟ وهل لجوؤه إلى مكونات السماء بحث عن الخلاص الذي لم يستطع أن يجده في الأرض؟

استعمل الشاعر مفردات معجم الموجودات السماوية بشكل أغزر، وأكثر من استعماله لمفردات معجم الطبيعة الجغرافية الأرضية، فورد اسم الشمس صريحاً أربع مرات في القصيدة، كما ورد اسم الليل صريحاً ثلاث مرات، وجاء اسم الكوكب (زحل) مرة واحدة، وكذلك حديثه عن الأبراج السماوية.

جاء استعماله لمفردة (الأرض) سلبيّاً في السياق الذي وردت فيه، وقد تناص في هذا الاستعمال (نفقاً في الأرض) مع نص الآية القرآنية: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[32]. فالدلالة التي يحملها استعماله لهذا التركيب جاءت سلبية، وابتعدت كثيرًا عن إيجابية الأرض، وما يعلوها من أسباب الحياة؛ مما يفتح باب التأويل في أن يكون هذا النفق رمزًا للتخلي والهروب، وطريقاً للخلاص المتمثل في الموت، وإن تجاهل الشاعر لذكر المواقع الجغرافية في نصه الشعري يعد تصرفاً سلبيّاً، لما يمكن أن تتضمنه هذه المفردات – لو ذكرت – من معانٍ إيجابية.

ويشير هذا الاقتصار إلى أن الشاعر زاهد بالأمكنة الجغرافية التي يقيم فيها؛ الأمر الذي دفعه إلى تجاهلها، وأن غربته هي غربة مكانية إضافة إلى كونها غربة نفسية داخلية، وأنه لا يرى في الأرض إلا جانبها السلبي الموحي بالفقد والموت.

أما الدلالات فقد توزعت على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
الأرض	لم تخرج عن معناها الأصلي.
الجو	لم يخرج عن معناه الأصلي.
الشمس	لم تخرج عن معناها الأصلي في علوها وإشراقها وغيابها.
زحل	لم يخرج عن معناه الأصلي الذي هو كوكب من مجموعة الكواكب التي تدور حول الشمس.
الليل	لم يخرج عن معناه الأصلي المفيد للظلام والوقت الذي يكون بين غياب الشمس وظهورها.

أما الدلالات الهامشية فكانت فيما يأتي:

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
وإنْ عَلانيَ مَنْ دُوني فلا عَجَبٌ/ لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ	الدلالة الهامشية التي يحملها البيت تشير إلى تشبيه الشاعر نفسه بالشمس، وتشبيه من هم دونه وعلوه بكوكب زحل، ويبدو أن الشاعر لم يكن على دراية كافية بعلم الفلك، أو أن العلم الفلكي الذي وصله آنذاك اعتمد على المشاهدة المجردة، فظن أن الشمس أقرب إلى الأرض من كوكب زحل، وهو ما يجانب الصواب.
مجدي أخيراً ومجدِي أوّلاً شَرَعٌ والشمسُ رأْدَ الضُّحَى كالشمسِ في الطَّفَلِ	مع وجود الدلالة المركزية التي تفيدها الشمس في الشروق والغروب، بيد أن دلالة هامشية استعملها الشاعر حين شبه مجده بالشمس التي تبقى مشرقة وهاجة كما هي سواء في أول النهار، أو في آخره.

وحيث إن الموجودات الجغرافية مرتبطة بتحديد الفضاء المكاني في النص، فإنه يمكن لنا تحديد الألفاظ المحددة للأمكنة في النص، والتي جاءت على النحو الآتي:

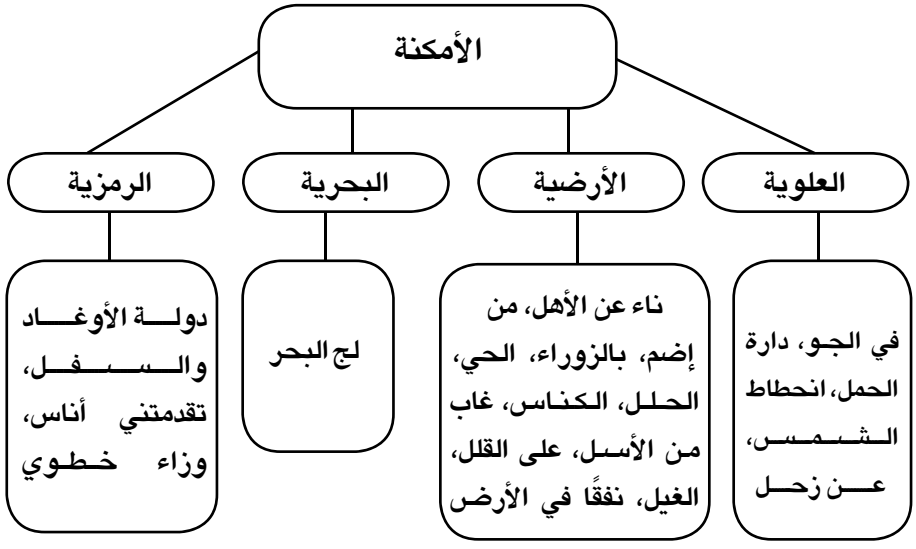

تعد مقولة (باشلار) أفضل ما يبرز أهمية المكان في العمل الفني؛ حيث تجعل المكان المحور الذي يكفل نجاح العمل الفني، حين يقول : «فالعمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي أصالته»[33]، وانطلاقاً من هذه الأهمية للمكان فهل يمكن لنا الولوج إلى محيط الشاعر، وظروفه النفسية في أثناء نظمه للقصيدة من خلال مفردات المعجم المكاني في قصيدته؟

إن المفردات الدالة عليه قد جاءت على النحو الآتي: (بالزوراء، ناء عن الأهل، الحي، من إضم (جبل)، إلى الحلل (أي بيوت القوم)، حول الكناس، لها غاب من الأسل، على القلل، في بيوتهم، من خلل الأستار، الغِيل، نفقاً في الأرض، في الجو، دارة الحمل، دولة الأوغاد والسفل، تقدمتني أناس، وراء خطوي، بانحطاط الشمس عن زحل، لج البحر).

نلاحظ الفرق بين المعجم الجغرافي بموجوداته، ومعجم الفضاء المكاني، فحين احتلت السماويات المرتبة الأولى في إحصاء الألفاظ الدالة على الموجودات الجغرافية، فإننا نجد الأمكنة الأرضية أكثر حضوراً في سياق الفضاء المكاني، وذلك يعني استمرارية تشبث الشاعر بالأرض رغم نداءاته المستمرة بالرغبة في الخلاص، والرحيل عنها.

ومما يلفت الانتباه في الأمكنة العلوية سمة بارزة اعتمد عليها الشاعر دون أن يقصدها لنفسها، فمن المعروف أن الأماكن السماوية أو العلوية ذات فضاء واسع يتيح للإنسان حرية من القيود التي تفرضها عليه أسوار الأرض، بيد أن جميع الأماكن العلوية الواردة في النص (في الجو، دارة الحمل، انحطاط الشمس، عن زحل)، محكومة ومقيدة، وليست مطلقة الحرية، فالشاعر في قوله (سلماً في الجو) لا يتيح لنفسه السباحة في الفضاء كيفما يشاء، بل قيد العمل بالسلم إلى الغاية،

وكذلك في قوله: (انحطاط الشمس) فالشمس محكومة بدوار مقدر لها بدقة، ولا تحيد عنه، وكذلك في قوله: (عن زحل) فهو كوكب يدور حول الشمس ضمن نطاق ثابت، وتحيط به حزمة تدور حوله في آن معاً، فهو مقيد من جانبين، وأما قوله: (دارة الحمل) فهو أيضاً مكان ملازم لتصنيف الأبراج الفلكية بحسب وجودها على الخريطة الفلكية، ولا يمكن له أن يخرج عن إطاره الذي وضع له.

2-الحقول الفرعية للألفاظ الدالة على الموجودات غير الحية:

- الألفاظ الدالة على الماء:

جاءت الألفاظ الدالة على الماء في النص على الشكل الآتي:

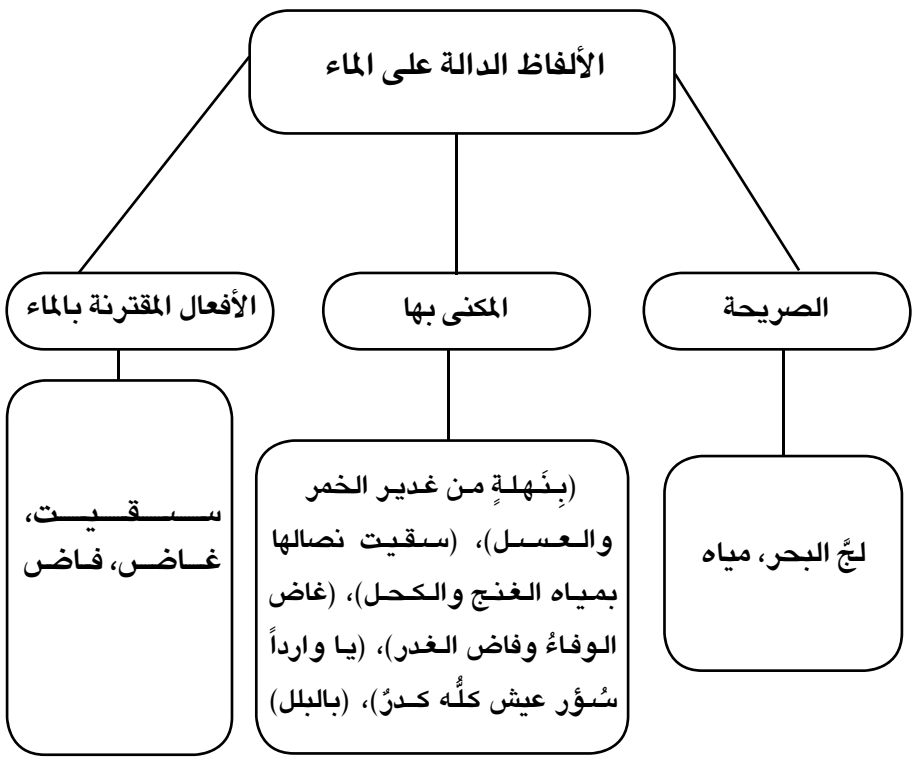

من خلال التقسيم الذي اتبعناه لمفردات المعجم المائي نلاحظ اعتماد الشاعر على توابع المادة أكثر من اعتماده على أصلها؛ أي الماء ذاته، فاقتصر ذكره الصريح للماء في مكانين فحسب، الأول في قوله: (لج البحر) بدلالته الحقيقية بوصفه بحراً، والثاني في قوله: (بمياه الغنج)، لكنه في استعمالها هنا لجأ إلى المفردة الأصلية (مياه) وأبدل دلالتها من خلال السياق الغزلي المستعار الذي وضعها فيه.

وجاءت الدلالات متوزعة على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
لج البحر	أفاد البحر معناه الأصلي.

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
مياه الغنج والكحل	(المياه) خرجت عن دلالتها الأصلية، واستعملت كناية في سياق الوصف الغزلي.
بنهلة من غدير الخمر والعسل	لم يعهد عند العرب غدران من الخمر والعسل، فجاءت الدلالة هامشية في هذا السياق.
غاض الوفاء وفاض الغدر	الأصل أن يستعمل الفعلان غاض وفاض للماء، بيد أن دلالتهما خرجت عن المعنى الأصلي إلى الكناية.

وعلى الرغم من ابتعاد الشاعر عن الاتكاء على الألفاظ الصريحة الدالة على الماء، فإنه استعمل الألفاظ التي توحي بأهمية الحقل الدلالي للماء في حياته، وإن ابتعاده عن استعمال الدلالة المركزية للماء، والتي تحمل معنى الحياة والنماء، يسوقنا إلى دلالتين؛ الأولى هي فقدان الحياة، أو جزء كبير منها في النص، وذلك من كون الماء الأصل في الحياة والنماء، وفقدانه يقود بالضرورة إلى الموت واليباس، وقد ربط

الشاعر معجمه المائي بوضعه النفسي في أثناء نظمه؛ إذ بدا يائساً من الحياة، ولهذا انصرف عن الماء دون أن يهتم باستدعاء مفرداته، والدلالة الثانية، في تأثير غياب المعجم المائي عن النص على باقي المعاجم التي تتكل على الماء في حياتها، كالمعجم الحيواني على سبيل المثال؛ إذ استدعى الشاعر الحيوانات التي تتحمل قساوة العيش في الصحراء، وتستطيع الصبر على العطش كالإبل المسماة سفن الصحراء، والخيل التي تصبر على الطعام والشراب خمسة وعشرين يوماً، والغزلان التي لا تتكل على الماء أصلاً، ثم على الأسود شديدة التحمل.

- الألفاظ الدالة على القوى الطبيعية بأنواعها:

وهي المظاهر الطبيعية التي لا فضل للإنسان فيها سوى تسخيرها واستعمالها؛ حيث إنها موجودة في الأصل، ومثال ذلك (النار)، فالشاعر أورد هذه القوة الطبيعية في سياقين؛ الأول رمزي في قوله: (تبيتُ نار الهوى منهن في كبدٍ حرَّى). والثاني واقعي حقيقي في قوله: (ونار القرى منهم على القُلِلِ).

والمفارقة الإبداعية تكمن في المعنى الذي أراده الشاعر في هذين الشطرين، إنّ هذا الحي الذي أريد طروقه له ناران: نار نسائه التي تبيت في كبدٍ حرى، ونار رجاله التي تبيت في القِرى مضرمة على القلل، وهذا في غاية المدح لهذا الحي؛ لأن نساءه حِسان، ورجاله كِرام. وقوله: في كبد حرّى. كأنه قال: نار نسائه في كبد واحدة، وهي كبدي؛ لأنهن غير مبتذلات لمن يراهن، فما يشاركني في محبتهن أحد، ونار قراهم على القلل تبدو لكل ناظر، وقد جمع بين وصف الرجال ووصف النساء في بيت واحد، وفيه من البلاغة ما فيه.

- الألفاظ الدالة على الأدوات الحربية بأنواعها:

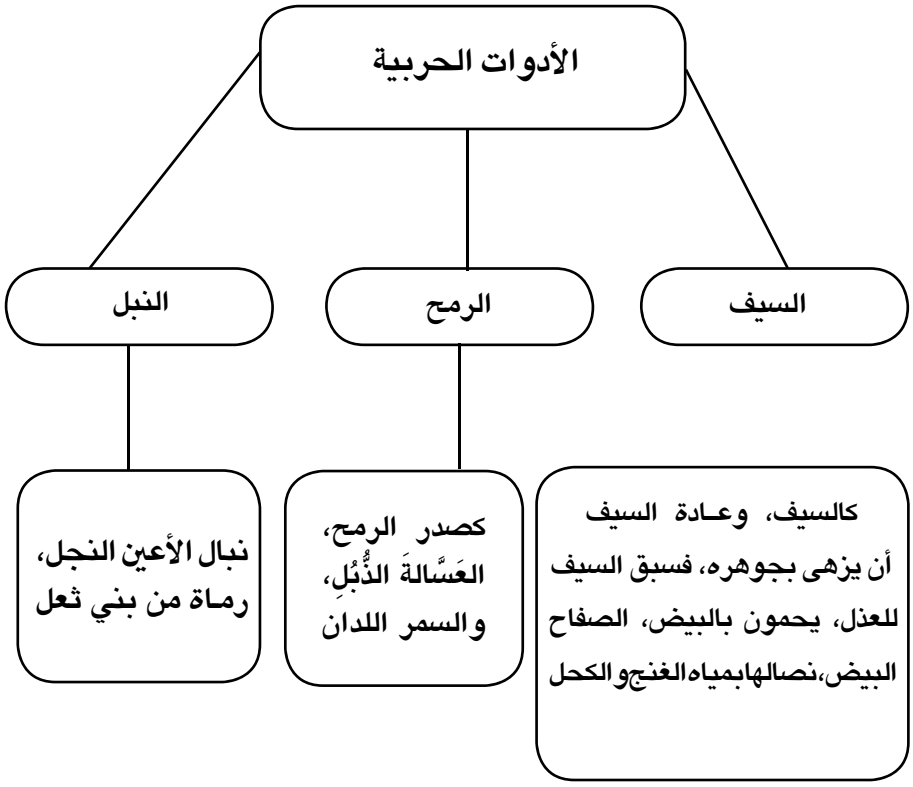

إن السمة البارزة في جميع مفردات السلاح الحربية في النص – سواء أكان ذكرها بالتصريح أم بالتلميح بالصفات المشيرة إليها– وردت إيجابية في مكانها، تعبق بمعاني الفخر والعزة حيناً، والغزل والجمال حيناً آخر، ولأن العربي يفتخر بسلاحه، ويعده جزءاً من عرضه وشرفه، فلا يستطيع الشاعر أن يتعرض لهذا الشرف بشيء من الذم مهما كانت حالته النفسية بالغة السوء، وأكثر ما يكون محتاجاً إلى السلاح في الشدائد والأزمات، وهي الحالات التي لا يكون فيها الإنسان مقبلاً على الدنيا بقدر ما يكون مقبلاً على الموت دفاعاً عن أحد معتقداته، فلا يكون المقام مقام تعريض بالسلاح، بقدر ما هو مقام فخر به.

وإن استعمال الشاعر للأدوات الحربية بين سياق التصريح وسياق الكناية يحيلنا إلى تحديد الدلالتين: المركزية والهامشية في هذا الحقل الدلالي، والتي جاءت على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
كالسيف عرّي متناه عن الخلل	السيف أداة حربية لا يتصور الذهن سواها عند ذكرها.
فسبق السيف للعذل	دلالة مركزية مفادها المثل المشهور عند العرب.
كصدر الرمح معتقل	وهو أداة حربية لا يتصور الذهن سواها عند ذكرها، والرمح المعتقل هو الذي يكون قائماً بين ساق الفارس وركابه.

أما الدلالة الهامشية فجاءت كما يلي:

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
نبال الأعين الكحل	النبال من الأدوات الحربية المشهورة، وجاءت دلالته عن شدة أثر النظرات في المنظور إليه، فكان فعلها كفعل السهم، وهي دلالة هامشية مطروقة في كثير من الشعر العربي.

وتجدر الإشارة إلى أننا في أثناء دراستنا لحقل الموجودات في قصيدة قديمة كلامية الطغرائي لا نجد زخم الحقل الدلالي المتعلق بالمصنعات والمواد المركبة عما يمكن أن نجده في قصيدة حديثة، ويعود ذلك إلى اختلاف طبيعة العصر، وتأثيرها بالشعراء، كلٌّ في عصره وبيئته؛ مما يشير إلى أن الواقع المحيط، أو بيئة الشاعر لها الدور الأول في ترتيب معجمه الدلالي في ذاكرته.

- **حقل المجرّدات:**

مقابل حقول الموجودات سنتناول بالدراسة حقل المجردات، الذي يختلف عن الأولى في افتقاده الطابع الحسي المادي، واقتصاره على ما هو معنوي مجرد، بيد أن تجرد عناصره لا ينفي عنها تأثيرها في الموجودات وتأثرها بها، ومما يشتمل عليه المعجم الحقلي للمجردات: اللون والعدد والجاذبية والحرارة والسرعة والمقدار والمسافة والوقت، والثنائيات اللغوية.

1- **الألوان**:

بإحصاء المفردات الدالة على اللون في النص نجدها على النحو الآتي:

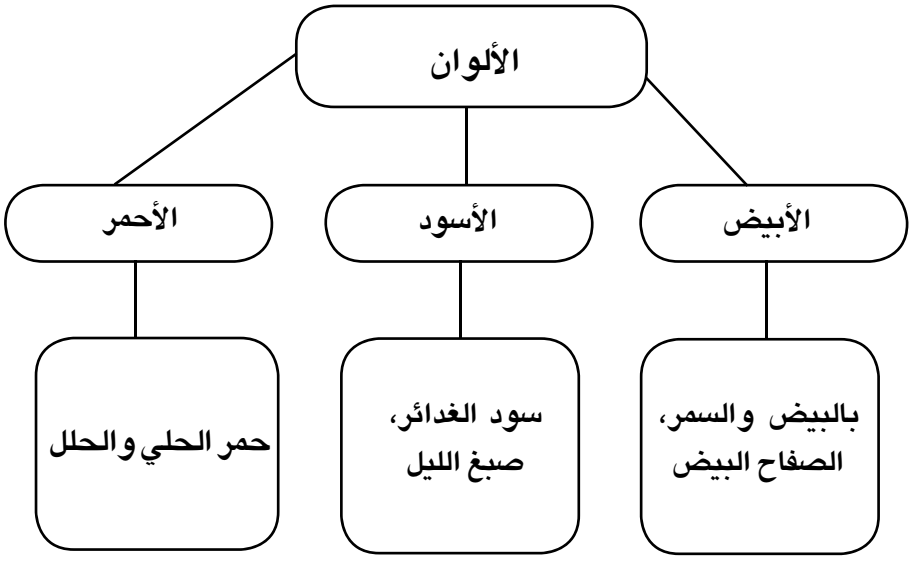

اقتصر الشاعر على الألوان الثلاثة الرئيسة بحسب تصنيف العرب، الأبيض والأسود والأحمر[34]، كما نلاحظ أن الشاعر قد جمع ثلثي معجم اللون عنده في بيت واحد؛ حيث يقول: «يحمون بالبيض والسمر اللدان به// سود الغدائر سمر الحلي والحلل».

قصَر الشاعر اللون الأبيض على بريق السيف وصفحته، والبيض بالجمع: السيوف، وقد أكثر الشعراء من وصف سيوفهم بالبياض حتى إنهم كنّوا بهذا اللفظ عنها من غير أن يذكروها ذكراً صريحاً، وهذا ما اعتمده الشاعر الطغرائي في قوله: (بالبيض والسمر، الصفاح البيض). ولكن أليس معهوداً عن اللون الأبيض دلالته على النقاء والسلام، فلماذا يبرز الشاعر اللون الأبيض مقروناً بالسلاح، وهذا ضد السلم المعهود عن الأبيض؟ فإن كان لهذا دلالة على نفسية الشاعر وحقيقته فهي تشير إلى أن شاعرنا ليس عدوانيّاً في حربه، بل مسالم وعاقل حتى وإن اضطره الأمر إلى المواجهة؛ فشجاعته مقترنة بنقاء سريرته، والأبيض في السلاح يأتي مقروناً بالفخر لا بالدم والحرب.

وجاء اللون الأسمر مرة واحدة في قوله: (بالبيض والسمر) كناية عن الرمح، «فلم يعرف العرب اللون البني، رغم أنه من الألوان الرئيسة في اللغة الإنجليزية، وفي العربية مرادفات للأسود، أو صفات استخدمت في التعبير عنها ألفاظ أخرى مثل أسمر وأسفع، فالأسمر سواد أقل حلكة من السواد الذي تدل عليه الكلمة المرتبطة باللون الأساس، وقد كنوا بالأسمر والسمر عن الرماح والتروس، وسبب ذلك أنهم كانوا يتخذون الترس من جلود البقر بعد صبغها باللون الأسود، قال أبو سعيد السكري في روايته عن الأصمعي: إذا تركت القناة في غابتها حتى تنضج، ثم ثقّفت خرجت صلبة سمراء، وإذا أخذت قبل أن تنضج خرجت بيضاء ضعيفة»[35].

وهل يمكن اعتبار الشاعر حقق طباقاً في قوله: «البيض والسمر»؛ حيث إن اللون الأول مضيء، واللون الأسمر مشتق من اللون الأسود؟ بيد أن البديع هو استعمال الشاعر اللون الأبيض في غير ما يستعمل له عادة، فاستعمله للحرب بدل السلم، واستعمل الأسود أو مشتقاته للدلالة على صفة الرمح الجيد، وهي صفة إيجابية للسواد المعروف عنه السلبية الغالبة، حتى اللون الأسود الذي ورد صريحاً مرة

واحدة في إشارة الشاعر إلى الغدائر (سود الغدائر)، فإنه كان حضوراً إيجابيّاً للكناية عن بعض صفات الحسن عند المحبوبة.

أما الدلالات فقد جاءت على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
حمر الحلي والحلل	اللون الأحمر المعهود؛ حيث جاء في السياق لوناً للحلي المستعملة لزينة النساء، ولونًا لثوبيها عليها.
سود الغدائر	اللون الأسود المعهود، جاء في وصف ضفائر الشعر بأن لونها أسود.
صبغ الليل	إشارة إلى اللون الأسود الذي لا يكون الليل إلا به.

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
(يحمون بالبيض والسمر) (الصفاح البيض)	اللون الأبيض في السياق مأخوذ من بريق السيف الذي يشبه البياض من الألوان، والأسمر مأخوذ من لون الخشب المستعمل في قوام الرمح.

ومجمل القول: إن استعمال الشاعر للألوان الأساسية يدل على وضوحه، وبعده عن الرمادية، فمظاهر الحياة – كما يحب أن يراها – ذات ألوان واضحة، إما بيضاء وإما سوداء.

ولأن دراسة الحقول الدلالية تقوم على آلية الظاهرة البارزة في الحقل، فإننا نلاحظ أن الشاعر يركز على الأمل والمستقبل والحلم بأيام أجمل من أيامه الحاضرة التي يعيشها.

وإن اعتماد الشاعر على النقائض واضح في كل جوانب النص، فالتضاد يحتل مساحة كبيرة من الصفات والكنايات التي وشى به نصه، ومن بين ذلك فخره بصفات القوة والبأس، فيستحضر مفردات تدل على الشجاعة.

2-**ثنائية التفاؤل واليأس:**

إن بنية المعجم اللغوي الذي تمثل في المجالات الدلالية العامة تدفعنا إلى عرض الألفاظ التي شكلت ثنائيات لغوية ذات دلالة، وهي بمجملها قائمة بين السلب والإيجاب، وقد وردت الألفاظ الدالة على التفاؤل واليأس في النص على النحو الآتي:

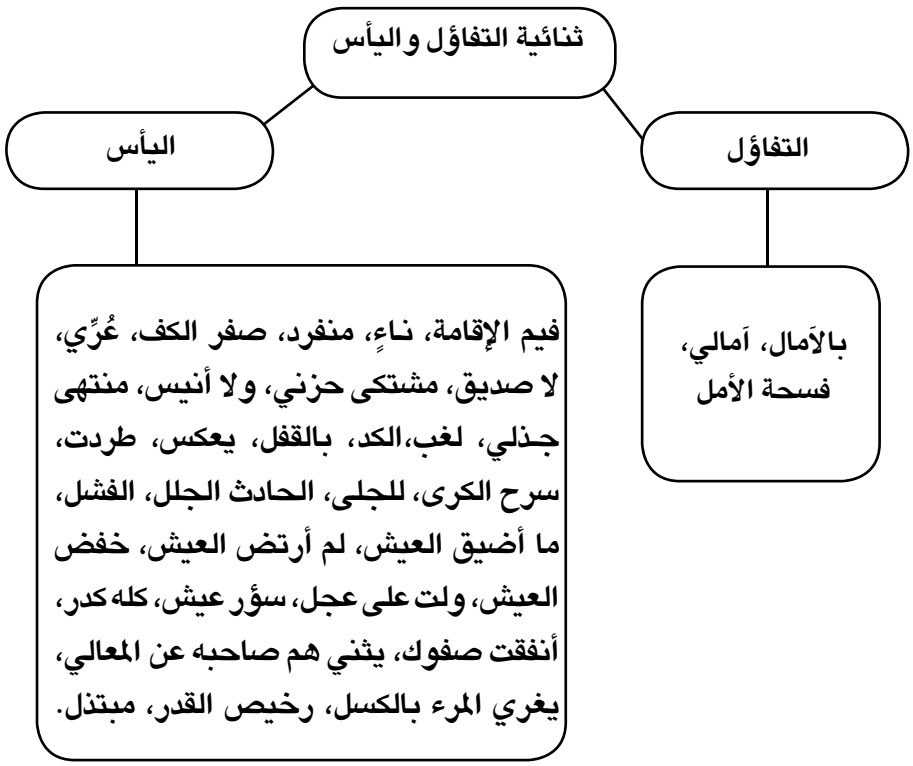

على الرغم من محدودية مفردات التفاؤل في النص، فإن تركيز الشاعر على مفردات تشير في أصلها إلى التفاؤل الإيجابي يمكن أن تكون دلالة على إيمانه بالخروج من مأزقه وإن بعد حين. وجدير بالإشارة أن الدلالات التي حملتها الألفاظ الدالة على التفاؤل واليأس جاءت مركزية في سياقها؛ حيث إن تناوله لنقيضين متعلقين بالحالة النفسية يفرض عليه استعمال الدلالة الأصلية لكل منهما في هذا السياق.

وبإحصاء المفردات الدالة على اليأس والتشاؤم في النص نستطيع أن نطلع على مدى استعداد الشاعر للخروج من حالته النفسية الكئيبة بعيد عزله من منصبه، أو بقائه حبيساً لهمومه واستسلامه لواقعه، وبخاصة أنه نفي إلى خارج بغداد إلى غزنة.

وأبرز مفردات هذا المعجم تركزت حول العيش أولاً، وكيف أن الشاعر قد ضاق ذرعاً بمعيشته وواقعه، بيد أنه ليس الأمر الوحيد الذي كدر عليه صفو عيشه، بل إنه جعل بقية المفردات اللاحقة أسباباً لضيق العيش، فكانت الوحدة أولاً، ثم فشله في تسيير أموره، ثم ندمه على الأيام التي مرت، ثم التعب، فعظم المصيبة، فالفقر، ولعل قضية الفقر هنا تستدعي وقوفنا قليلاً على حقيقة حاله؛ إذ إنه كان ذا منصب سياسي رفيع في الدولة، وهذا الأمر من شأنه أن يجعل رزقه في فسحة، وأن يكون أبعد الناس عن الفقر، لكن يبدو أن قرار العزل رافقه قرار بالحجز على أمواله؛ مما جعله يخرج من بغداد، كما دخلها، صفر الكف، خالي الوفاض.

3- ثنائية الفضيلة والرذيلة:

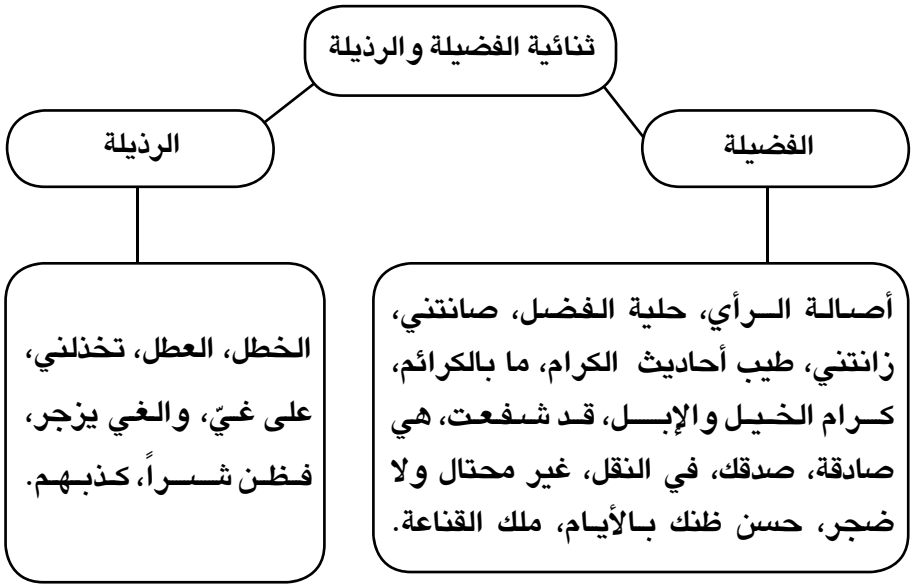

يؤكد الشاعر أن أكثر ما يدوم هو الفضيلة والخلق الذي تركه أثراً وراءه، وهذا يبدو من مفردات معجم الفضيلة، التي تضمنت الكرم والشجاعة والصدق والتسامح والقناعة، وهو بهذا اتكأ على الدلالات المركزية لكل من ألفاظ الفضيلة، وألفاظ الرذيلة.

وعلى الرغم من أن مقام الحديث في القصيدة يتمحور حول الغرض النقدي الذي يندرج تحت بند الشكوى فإن الشاعر لم يستطع أن يتخلى عن الفضيلة التي يتحلى بها، والتي تشي بها أبيات قصيدته، دلالة على تحلي الشاعر بهذه الصفات، وحرصه على أن يتحلى به الآخر المنصوح في نهاية القصيدة.

وفي مقابل معجم الفضيلة، نستخلص مفردات معجم الرذيلة، أو الصفات التي تجرح المروءة، أو تلك التي لا يمكن سلكها ضمن الإيجاب، بل في السلب، وارتكاز الشاعر جاء على مفردة (الغي) التي تفيد معنى الضلال؛ إذ يشير الشاعر إلى أن ما صار إليه ما هو إلا نتيجة أفعاله، وما صنعته يداه، ولهذا تكدر عيشه نتيجة حتمية لهذا الضلال، بيد أن هذا قد يكون خيراً له، أو هكذا يأمل في مؤانسته لنفسه، ثم إن رؤية الشاعر لأنواع الرذيلة أودى به إلى فقدان الثقة بالناس، كما في قوله: (وأنت تخذلني في الحادث الجلل، فظنَّ شرّاً، كذبهم، فحاذر الناس، واصحبهم على دخل)؛ إذ يضع الشاعر الاحتمال السلبي قبل الآخر الإيجابي، فالخذلان قبل التلبية، والظن شرّاً قبل الظن خيراً، والكذب قبل الصدق، والحذر من الناس قبل الثقة بهم، ومصاحبتهم مع الحذر دون الثقة العمياء)، وهذا يعود بنا إلى معجم اليأس الاجتماعي وفقدان روابط العلاقة بينه وبين محيطه.

ولعل الشاعر محق في فقده الثقة، بعد الوقوف على أسباب عزله التي كانت في مجملها معتمدة على الثقة التي كان يوليها الطغرائي للمقربين منه من السياسيين، ليقول ابن الأثير في أحداث سنة 497هـ عن سبب عزل الطغرائي من منصبه: «وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائي، وسبب ذلك أن الأمير بزغش، وهو أصفهسلار العسكر السنجري، ألقى إليه ملطفاً فيه: لا يتم لك أمر مع هذا السلطان، ووقع إلى سنجر: لا يتم لك أمر مع الأمير بزغش مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، وعرض عليهم الملطفين، فاتفقوا على كاتب الطغرائي، وظهرت عليه فقتل، وقبض سنجر على الطغرائي، وأراد قتله، فمنعه بزغش، وقال له: حق خدمة، فأبعده إلى غزنة»[36].

4- ثنائية الشجاعة والخوف:

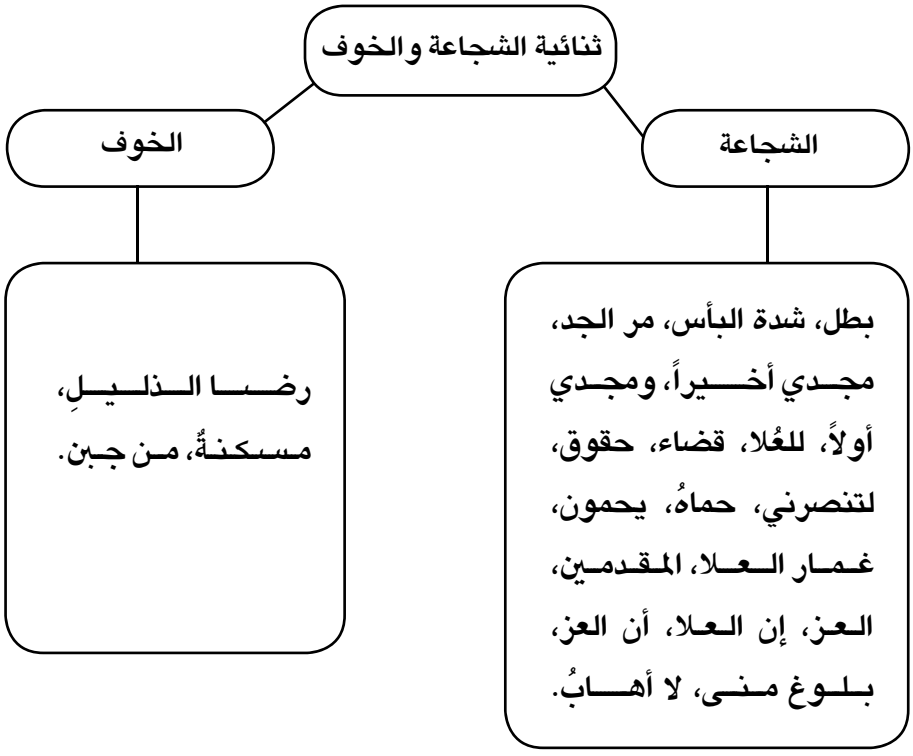

وإن كان الشاعر لا يعني نفسه بمعظم الصفات، أو الألفاظ التي أوردها في هذا السياق، فإن مجرد ذكرها يدل على اعتزاز الشاعر بنفسه وبهذه الخصلة، وهو يعيدنا إلى مقدمة القصيدة التي يقول فيها: (مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرعُ، والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)، وإنني أرى تحليل هذا البيت هو مفتاح الخوض في معجم الفخر والشجاعة؛ إذ إن الشاعر يؤكد أنه صاحب مجد ورفعة، سواء في أثناء سلطته، أو بعد عزله، ثم يشبه نفسه بالشمس، فهي لا تتغير مع تغير مسارها، واختلاف المحيط بها، فهي شمس في الإشراق وشمس في الغروب.

مقابل معجم الشجاعة لم يكن لمعجم الخوف حضور قوي في قصيدة الطغرائي، بل اقتصر ذلك على مفردات قليلة، فالرضا بالذل يأتي من الخوف، والمسكنة لا يجلبها إلا خوف من شيء ما، والجبن رديف الخوف، بيد أن الشاعر أخرج المفردات عن دلالتها الحقيقية من خلال سياقها الذي وردت فيه، وأكسبها دلالات جديدة مغايرة للأصلية التي هي عليها.

فقول الشاعر: (رضا الذليلِ بخفض العيشِ مسكنةٌ) يوحي بانتقاد هذا الرضا، وهذه المسكنة، ويراها معيبة، وغير لائقة بالإنسان الجانح نحو الحرية والعزة والعلا، وقوله: (ما بالكرائم من جبن ومن بخل)، يدل على أن الشاعر نفى الجبن هنا عن الكرائم، فأصبح انتفاء الجبن زيادة في خصال التكريم للممدوحين.

فقول الشاعر: (رضا الذليلِ بخفض العيشِ مسكنةٌ) يوحي بانتقاد هذا الرضا، وهذه المسكنة، ويراها معيبة، وغير لائقة بالإنسان الجانح نحو الحرية والعزة والعلا، وقوله: (ما بالكرائم من جبن ومن بخل)، يدل على أن الشاعر نفى الجبن هنا عن الكرائم، فأصبح انتفاء الجبن زيادة في خصال التكريم للممدوحين.

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
بطل	حملت الدلالة الأصلية لها في الإشارة إلى الإقدام والشجاعة.
شدة البأس	حملت الدلالة الأصلية لها في الإشارة إلى القوة والشجاعة.

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
لا أهاب	أفادت نفي الخوف أصالة، بيد أن هذا يشير إلى وجود شيء حاضر يخاف الشاعر منه، ويحاول أن يدفع خوفه منه بنفيه.

أما السمات الانتقائية المركزية فنستطيع أن نلاحظها في كل من:

السمات الانتقائية المركزية	البعد الدلالي
رماة من بني ثعل	تفتق في الذهن فرسان قبيلة بني ثعل ومهارتهم في استعمال النبال، وشجاعتهم وانتصاراتهم ومدى فعالية هذه المهارة في المعارك آنذاك.
مجدي أخيرًا ومجدي أولاً	تثير المفردة مجموعة من الصفات التي تحلى بها الشاعر لكي يصل إلى المجد الذي ذكره، سواء كان ذلك في السلطة، أو الشجاعة، أو نبل الأخلاق، أو المكانة الاجتماعية وما إلى ذلك.

في حين أن ثنائية الشجاعة والخوف لم تحمل شيئًا من السمات الانتقائية الهامشية؛ حيث إن الشاعر لم يخرج بالألفاظ الدالة على الشجاعة عن سياقها الدلالي

الأصلي، وكذلك فيما يتعلق بالمفردات الدالة على الخوف، فالبطولة مثلاً لم ترد إلا لتفيد معناها الأساسي، والجبن كذلك الأمر لم يفد إلا دلالته الأصلية.

5-**ثنائية الحياة والموت:**

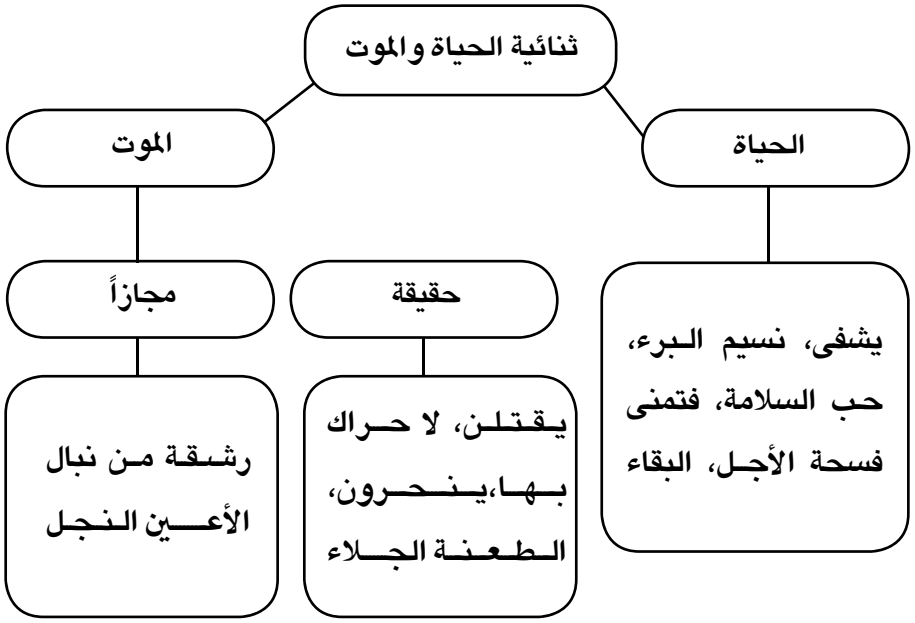

فالشفاء هو نجاة من الموت، وكذلك نسيم البرء يحمل المعنى نفسه، والدلالة في هذا السياق إيجابية، بيد أنها جاءت سلبية أيضاً مقابل هذه الإيجابية؛ إذ يشجع الشاعر على الموت بدلاً من الحياة، بل ينتقد محبي الحياة فيقول: (حب السلامة يثني هم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل)، وينتقد البقاء في الحياة عن الرحيل عنها في قوله: (ترجو البقاء بدار لا ثبات لها).

أما في مفردات حقل الموت فنقف على تعريفه بداية، فالموت هو: «توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي، وهو نهاية مرحلة تنفصل فيها ثنائية الوجود الإنساني ليعود كل عنصر إلى عالمه الأزلي»[37]، وقد ارتبطت مشكلة الموت بمفهوم الزمن

والعالم المتغير، «فكل ما يحيط بالإنسان إنما هو في تغير مستمر، والإنسان وحده من أدرك خطورة هذه المشكلة، وأحس بها، فغدا أمام الموت مفزوعاً عاجزاً حياله»[38].

وقد وردت المفردات الدالة على الموت في المواضع الآتية: (قتلن، لا حراك بهم، وينحرون، الطعنة النجلاء). وجميع المفردات والتراكيب المذكورة تشير إلى الموت بمعناه الحقيقي، بيد أنها قد تذهب إلى المجاز في بعض الصور، كما في قوله: (رشقة من نبال الأعين النجل، نحور البيد)، وإن استعمال الشاعر لمفردات الموت يشير إلى ضيق دائرة الحياة في نظره، واتجاهه إلى تصوير الدمار النفسي الذي أصابه، لاسيما أن ذلك نابع من ذاته ووجدانه الملتهب حنقاً على حياته، لكن الموت لم يكن سلبيّاً بالضرورة في النص، فقد أتى به الشاعر إيجابيّاً في قوله: (وينحرون كرام الخيل والإبل)، للدلالة على الكرم، وقوله: (الطعنة النجلاء)، في سياق الغزل.

وجاءت الدلالات متوزعة على النحو الآتي:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
يشفى	تجاوز بعض أسباب الموت وإن مؤقتًا.
ينحرون كرام الخيل والإبل	أفاد الفعل حقيقة وقوع القتل على الخيل والإبل.
الطعنة النجلاء	الطعنة النافذة التي تفضي إلى الموت.

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
رشقة من نبال الأعين النجل	اعتمد الشاعر على الاستعارة في تصوير قوة تأثير الأعين النجل بالمفتون بها الناظر إليها، وإنه من الراجح حقيقة مقتل من يصاب برشقة من النبال.

ينحرون كرام الخيل والإبل	خرجت الدلالة بالموت من السلب إلى الإيجاب، وبقصد المدح والتكريم لا التجريح والتعريض؛ حيث إن نحر الخيل والإبل في سياق إكرام الضيوف وكرم المضيف.

لم تشكل الثنائيات اللغوية عند الشاعر مسيرة حياته منذ طفولته إلى وقت نظمه للقصيدة، بل كانت مرتبطة بالحدث الذي ألم به، ألا وهو العزل والنفي والوحدة المتأتية بدلاً من ذلك.

ومن خلال اطلاعنا على المجردات في لامية العجم، فإننا نوجز أبرز النتائج التي وسمتها، وهي على النحو الآتي:

- إن التقارب النسبي بين الحياة والموت في القصيدة يشير إلى عدم استقرار الشاعر على رأي بشأن اختيار واحد منهما، فتارة هو متعلق بالحياة أملاً في العودة إلى أهله، وتارة يزهد من حياته ويرى الحل في الموت.
- بدا الشاعر في حركة دائمة على مدار النص، وقد بدا ذلك واضحاً من غزارة مفردات معجم الحركة مقابل قلة مفردات معجم الثبات.
- اعتزاز الشاعر بالخصال الحميدة والفضائل مقابل نقده للصفات المذمومة والرذائل، ثم تحذيره للآخر المنصوح بالتحلي بالأولى، والابتعاد عن الأخرى.
- على الرغم من سيطرة اليأس على الشاعر، فإن ذلك لم ينفِ تعلقه بالأمل، وقد أشار إلى ذلك في بيته الذي يعد واسطة العقد في القصيدة:

(أعلل النفس بالآمال أرقبها.. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل).

- إن حضور الدلالات المركزية أبرز من حضور الدلالات الهامشية، كما أن الشاعر لم يستغن عن هامشية الدلالة في التصوير والاستعارة والكناية.

- **حقل الأحداث:**

الأحداث هي الأفعال التي تحدثها المخلوقات الحية في أوضاعها المختلفة، وكذلك الأفعال التي تحدثها الجمادات كناية، وتصنف هذه الأحداث في حقول فرعية يربط بعضها بعضاً، وتقسم إلى قسمين؛ الأول: الحركة والثبات، والثاني: الزمن.

أ- الحركة والثبات:

قد تكون ثنائية الحركة والثبات/ السكون رديفاً ومعادلاً موضوعيّاً لثنائية الموت والحياة في أصل كل منهما، وهي تمثل الناحية الديناميكية في الحياة عموماً، وإذا ما أردنا تعريفاً للحياة فإنها تقوم على مظهرين اثنين؛ الثبات والحركة، وجاءت في النص على النحو الآتي:

من خلال إحصاء الألفاظ الدالة على ثنائية الحركة والثبات وجدنا أن حقل الحركة أغزر وأكثر حضوراً من الآخر الثابت الساكن، ونلاحظ الفرق الشاسع بين غزارة مفردات كلا المعجمين.

واللافت للنظر أن الشاعر لا يستحضر مفردات الثبات إلا للدلالة على الإيجاب في معظم ما تناوله، في حين جاءت الحركة – كما أسلفنا – أغزر في دلالة على أن الشاعر مضطرب إزاء الأحداث التي ألمت به، وكأن الشاعر يعقد مقارنة بين الحركة والثبات ليخلص إلى أن اللاحركة أو الثبات هو المتحكم في النص، وذلك يعود إلى طبيعة موقف الشاعر وغرض القصيدة، وأسباب نظمها، وكلها مرتبطة بتنقلات الشاعر الحقيقية، وتقلبات الزمن عليه، وتحولات نفوس الشخوص المحيطة به.

بينما كانت عناية الشاعر باستحضار المفردات والتراكيب الحركية الدالة على السفر والترحال، أبرز سمة في معجم الحركة، ولعل الدلالة المركزية التي تدور حولها ظاهرة السفر والترحال في النص هي فكرة بحث الشاعر عن الخلاص من واقعه وأزمته، فتارة جاء الخلاص حلاً نهائيّاً؛ وذلك بحركة الشاعر المستمرة بحثاً عن الثبات الذي تمثل في الموت، وتارة كان الخلاص مؤقتاً للابتعاد عن بؤرة الصراع النفسي المتمثل في واقعه الذي يعيشه بعيداً عن الأهل وعن سدة الحكم.

ومن أمثلة الدلالة المركزية في حقل الحركة والثبات:

الدلالة المركزية	البعد الدلالي
الشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل	ثنائية تعاقب الليل والنهار في شروق الشمس وغروبها في مواقيت ثابتة نسبيّاً.
راحلتي	الجمل أو الناقة، اللذان يعدان الوسيلة الأساسية للتنقل وقتئذٍ.
نار القرى	النار الحقيقة التي يشعلها المضيف ليلاً إرشاداً للضيوف إليها.

ومن أمثلة الدلالة الهامشية:

الدلالة الهامشية	البعد الدلالي
أمشي على مهل	أفادت التقدم في الدرجات في المكانة، سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم غير ذلك، وفي دلالتها الأصلية تفيد فعل السير ببطء على الأرض.
نار الهوى	وهي نار الأشواق، وأثر المحبة في الفؤاد، وقد شبه الشاعر هذه المشاعر بالنار في حرارتها.

أما السمات الانتقائية فجاءت على النحو الآتي:

السمات الانتقائية المركزية	البعد الدلالي
يحمون	يدافعون بحمية وجسارة عما يليهم، ويفتق الفعل في الذهن مجموعة من السمات المرتبطة بدلالته، كالتهيؤ للحرب، ووميض السيوف، وأصوات السهام وهي تنطلق من الأقواس، وصيحات الحمية انتصاراً.
نار القرى	يثير التركيب مجموعة من السمات التي تحيط بظروفه، كالتهيؤ لإعداد الطعام للأضياف، وفرح الأضياف برؤية النار من بعد، وكرم وسخاء المضيف.

أما السمات الانتقائية الهامشية فلم يخرج الشاعر عن الدلالة الأصلية إلى دلالة نقيضة لها، ولعل ذلك يعود – كما أسلفنا القول – إلى طبيعة الثنائية (الحركة والثبات) التي تقتضي وضوح الدلالة؛ فإما على الحركة، وإما على الثبات.

ب- الزمن:

ويكون من خلال الألفاظ الدالة على الزمان في النص، إضافة إلى إحصاء استعمال الأزمنة الثلاثة، الماضي، والحاضر، والمستقبل ودلالاتها.

فأما الألفاظ الدالة على الزمن فإنها جاءت على النحو الآتي: (رأد الضحى، في الطَّفل، طال اغترابي، والدهر، والليل، صبغ الليل، تنام عيني وعين النجم ساهرة، الطروق، في ذمام الليل، يوماً، يمتد بي زمني، وقد ولت على عجل، والأيام مقبلة، في حادث الدهر، في أيامك الأول). نلاحظ أن الألفاظ الدالة على الزمانية الكونية (الليل والنهار والشروق والغروب والنوم والطروق) تدل على أن هذا النمط هو العلامة المميزة للمعجم الزمني في النص.

وينبئ معجم الزمن في النص بصورة لحياة باهتة الملامح، وهذا ما عبرت عنه مشاعر الطغرائي الحزينة وإحباطاته، وخيبة أمله من زمن لا جدوى من البقاء في إطاره، فهو دائم البحث عن الخلاص من هذا الزمن، ويبدو ذلك جليّاً من خلال تأسفه وتحسره على الزمن الماضي، كما في قوله: (في أيامك الأول، ولت على عجل).

وتبدو مشكلة الشاعر مع زمنه الحاضر متأزمة، فهو يرفضه وينأى عنه، ويحاول الخلاص منه، حتى وإن اضطره ذلك للتفاؤل بزمن قادم ربما سيكون أجمل؛ إذ إن تمنياته على الزمن الماضي الجميل بذكرياته أمر مستحيل الحدوث، وأمانٍ لن تأتي بنتيجة تخفف من حدة آلامه النفسية.

أما الزمن المرتبط بالأفعال فقد جاء في استعمال الشاعر لأزمنة الأفعال الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل).

1-الأفعال الماضية:

عرف النحاة الفعل الماضي بأنه ما دل على حدوث فعل قبل زمن التكلم، فالماضي: «يفيد وقوع الحدث أو حدوثه مطلقاً، فهو يدل على التحقيق لانقطاع الزمن في الحال؛ لأنه دل على حدوث شيء قبل زمن التكلم»[39]. وبإحصاء الأفعال التي تدل على الماضي من الزمن نجد أنها جاءت على النحو الآتي:

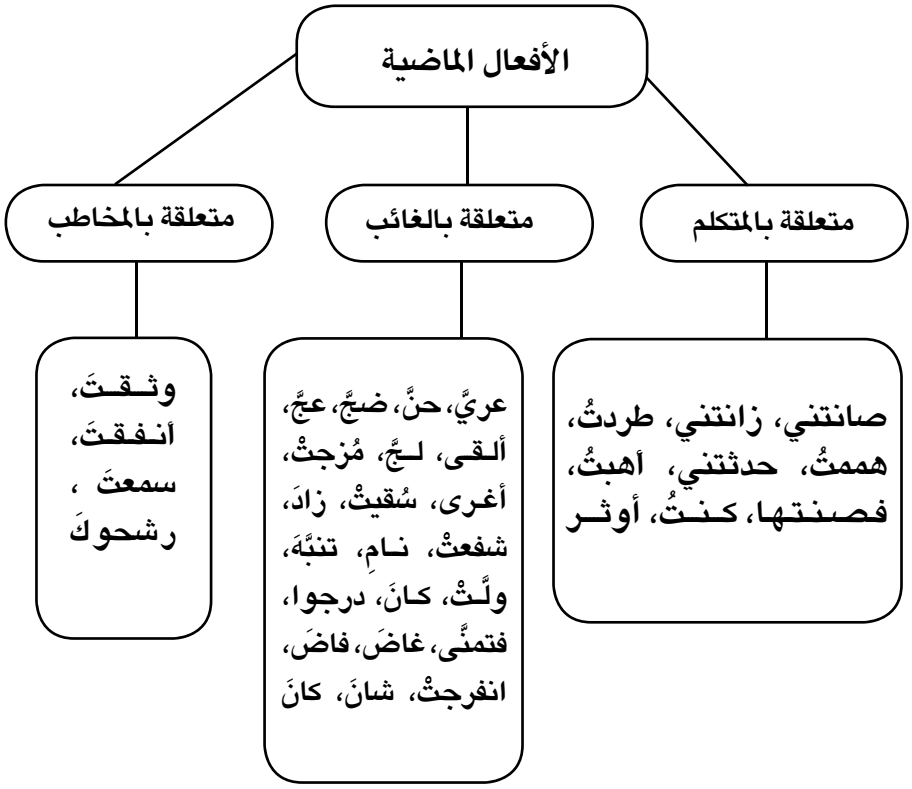

نلاحظ أن اتكاء الشاعر على الأفعال الماضية المتعلقة بالغائب حاضرة أغزر من غيرها المتعلقة بالمتكلم، أو المخاطب، ولعل وحدة الشاعر بعيدًا عن أهله وأصحابه والمدينة التي نشأ فيها جعلت من معظم خطابه موجهًا إلى هذه الفئات الغائبة.

وقد لجأ الشاعر إلى استعمال الفعل الماضي أكثر من سواه من الأفعال في مقدمة قصيدته حتى البيت السابع، ويعد هذا الابتداء منطقيّاً إذا ما وقفنا على الحالة النفسية للشاعر في أثناء نظمه للقصيدة؛ إذ إنه يشرح المشقة التي عاناها من قبل لدى وصوله إلى بلاد غربته بغداد، ليضع المتلقي أمام الأسباب الداعية إلى بؤسه وحزنه، ولعل القارئ يجد في هذه الأبيات أسى شديداً، وعتاباً مرّاً للنفس، ورغبته في الهجرة عن بغداد بأي طريقة من الطرق.

الأفعال المضارعة:

الدلالة المعنوية للفعل المضارع هي إفادته الاستمرارية، وبهذا يفيد في اتساق النص الذي يبتدئ بالكآبة، مستعملاً الأفعال الماضية لينتقل إلى الأمل فيما يسعده، وتدل الأفعال المضارعة الحاضرة على الحركة والحيويّة، كما تدلّ على التطلّع نحو الأمل والمستقبل الزاهر.

وللفعل المضارع وظائف عديدة مثل الحركية، والحيوية، واكتساب الحياة للحدث، ودوام حالة صاحب الفعل، والتوضيح، والشرح، والوصف. وبإحصائية للأفعال المضارعة داخل القصيدة، فإننا نصنفها في ثلاثة:

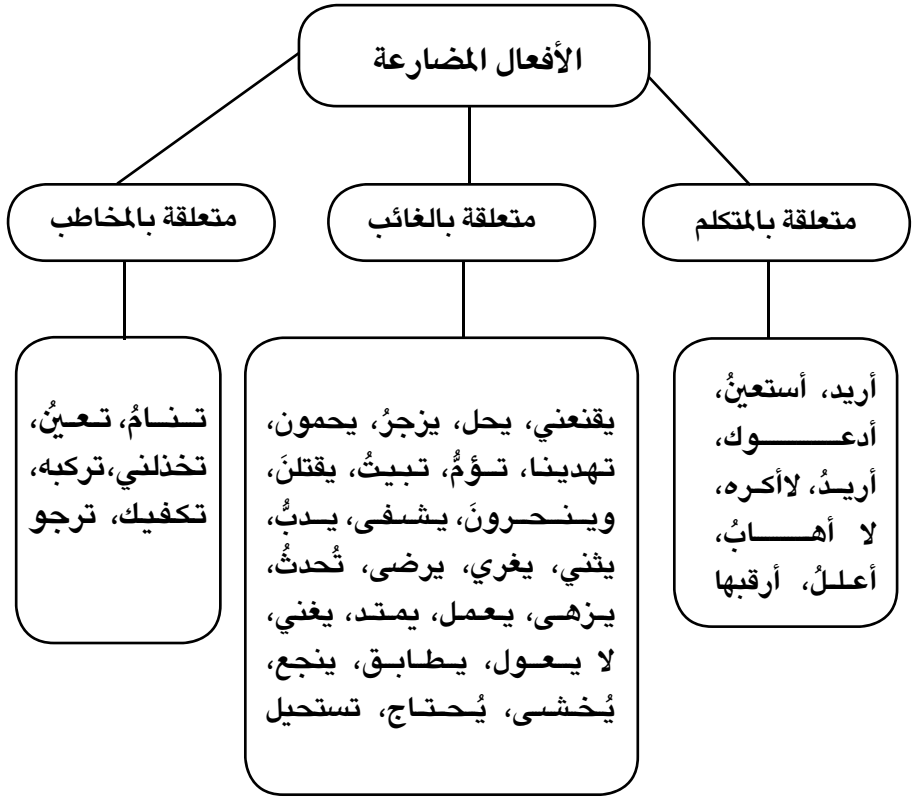

ولم يختلف الأمر كثيراً عما لاحظناه في حقل الأفعال الماضية؛ حيث إن أفعال المضارعة المتعلقة بالغائب هي الطاغية على حقل المضارعة، بينما أفعال المضارعة المتعلقة بالمخاطب هي الأقل حضوراً، أما الأفعال المضارعة المتعلقة بضمير المتكلم فجاءت متوسطة بين الغائب والمخاطب في الحضور، فتركيز الشاعر على الغائبين، ثم على نفسه، ثم على المخاطبين المفترضين حقيقة، يجعل من الأحداث تدور في فلك الآخرين الغائبين عن النص، وعن محيط الشاعر.

وقد اتسمت أفعال المضارعة المقرونة بالغائب بالسلبية عموماً على الرغم من بعض الأفعال التي توحي بالإيجابية (يشفى، تهدينا، يرضى، يزهى، يغني) فإن الأصل فيها سلبي، فما شفاء إلا لاحق لمرض، ولا هداية إلا بعد ضلال، ولا زهو إلا بعد شحوب، ولا غنى إلا بعد فقر، بيد أن السمة البارزة في هذه الأفعال هو سلبيتها. وهنا أشير إلى أن الشاعر يتجاهل الإيجابية في الأحداث التي مرت، والتي تمر معه بوصفه متكلماً، لكنه يوشح بعض الأحداث بالإيجابية، أو رجاء الإيجابية فيما يتعلق بالغائب، وينفي الإيجابية عن نفسه.

كما نلاحظ أن حقل أفعال المضارعة المتعلقة بالمتكلم يتجه نحو الحاجة، ويمكن استشعار القلق الذي يسيطر على الشاعر من خلال الأفعال التي عبر بها عن نفسه الحاضرة، فهو يريدُ، ويطلب العون، ويدعو إلى مساعدته، ويعلل نفسه، ويراقبها، ثم لا يهاب ولا يكره، وكان الأولى أن يقول أحب بدلاً من لا أكره، وأقدم بدلاً من لا أهاب، بيد أن حضور الكراهية والخوف في نفسه من أشياء أخرى دفعا به إلى استعمال هذين الفعلين، وإن كان نفى عنهما المعنى إلى نقيضه.

ونلاحظ في أفعال المضارعة المقترنة بالمخاطب، تلك التي يكون فيها المخاطب حاضراً أمام المتكلم، أن السياق أخذ شكل الحوار؛ فالخطاب في «تنامُ» يحكي عين

الشاعر، وفي هذه الحالة يكون الفعل مقصودًا للمخاطب الذي هو المتكلم في الحين نفسه، لكن استعمال الأفعال في خطابه إلى الآخر المفترض المتخيل أمامه في قوله له: «تخذلني، تكفيك، ترجو، تركبه، تعين»، كان استعمالاً سلبيّاً من ناحية الدلالة النفسية بين الحزن والفرح، فاستحضار المفردات الدالة على الحزن أمر لا يدركه الشاعر نفسه في كثير من الأحيان، ولهذا فقد كانت الدراسة السيميائية في بعض جوانبها تركز على مدى اكتشاف الحالة النفسية للكاتب، أو الأديب، أو الشاعر من خلال إحصاء المفردات الدالة على الفرح مقابل الأخرى الدالة على الحزن، ثم الحكم بناء على كثرة إحداها على الأخرى.

وفي تحديد الحالة النفسية للشاعر، فإن دلالة الأفعال المضارعة تهمنا أكثر من دلالة الأفعال الماضية؛ لأن الأخيرة تشير إلى زمن ولى، وانقضى من حياة الشاعر، وليس من الأهمية الندب على تلك الأحزان مجدداً غير معرفة أسباب استمرار الحالة النفسية في الحاضر، فالمضارع من شأنه أن يكشف لنا عن حقيقة توقف الحزن الماضي، أو استمراره إلى زمن القصيدة، ثم الحالة النفسية للشاعر في أثناء نظمه؛ مما يعلل أسباب النظم، ثم محيط الشاعر الاجتماعي، ثم بيئته، التي تدخل جميعها في التحليل الشكلي للنص الشعري.

ومن معاني الفعل المضارع في السياق الدلالة على الحيوية والحركة والاستمرار، وهذا في صالح المؤلف إذا كان حضوراً إيجابيّاً للأفعال، أما إذا كانت الأفعال متأرجحة بين اليأس والقنوط وفقدان الأمل، والبحث عن الخلاص بالموت أو بالرحيل، فأي حيوية ينطوي عليها النص حينئذٍ؟ بل تكون الاستمرارية مرتبطة بالحالة النفسية السيئة المستمرة مع الشاعر منذ الماضي الذي مازال يندب على أطلاله منذ مطلع قصيدته.

انتقل الشاعر في الثلث الأول من القصيدة من الماضي إلى الحاضر دون أن يحمل في يديه الأدوات التي ستنتشله من واقعه البائس، وترك ذلك للأجيال التي ستقع في نفس الشرك الذي وقع فيه الشاعر، فجعل الحلول نصائح، وطرائق الخلاص مفتوحة، وما على المتلقي الحاضر في أثناء النصيحة، أو الغائب عنها إلا اتباع ما أشار عليه به الطغرائي.

3-الأفعال الدالة على الاستقبال:

ونشير إليها بالأفعال التي استحقت الدلالة على ما استقبل من الزمن نتيجة قرينة أخرجت الفعل عن معناه الأصلي، وهي على النحو الآتي:

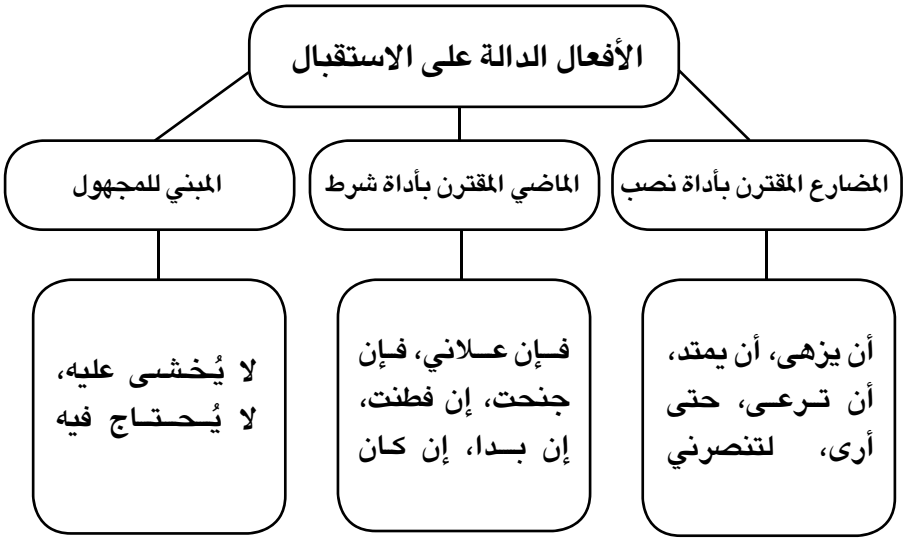

جاءت الأفعال المضارعة المقترنة بأداة النصب مساوية للأفعال الماضية المقترنة بأداة الشرط، بينما كانت الأفعال المبنية للمجهول هي الأقل حضوراً، وإن ندرتها هذه تدل على أن الشاعر يعلم المتسببين في أذيته، وليس محتاجاً إلى التمويه عليهم، أو نسب الأحداث إلى مجهولين، وجميعها تدل على ما استقبل من الزمن.

وتدخل أفعال الأمر ضمن الدلالة على المستقبل، وفعل الأمر في الدلالة: حقيقة في الوجوب، مجاز في غيره، ويحمل على الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه عنه إلى غيره من المعاني، وإذا جاءتنا صيغة الأمر تبادر إلى أذهاننا منها الوجوب، إلا أن هذا لا يمنع أن تكون هناك قرينة لم نطلع عليها تصرفه عن هذا الوجوب الظاهر إلى غيره من المعاني المجازية، كالندب والإرشاد، وغير ذلك. وقد وردت في النص في المواضع الآتية:

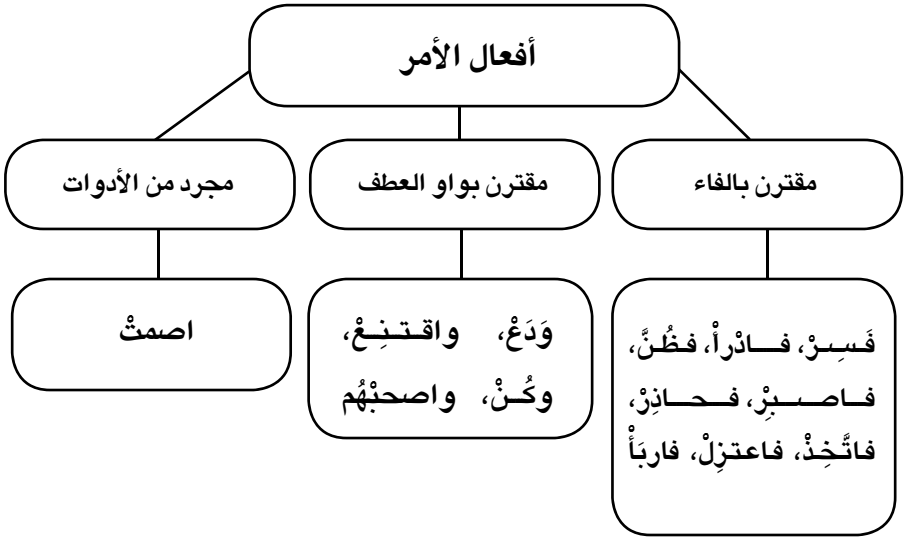

يدل فعل الأمر على وجوب القيام بأمر لم يحدث بعد، سواء أكان هذا الأمر في جانب الإيجاب أم السلب، وإننا نجد أفعال الأمر تكاد تنحصر في طابع النصح والإرشاد، وكأن الشاعر يرغب في تعليم هذا المتلقي للأمر أن يأخذ من خبراته وتجاربه كي لا يصل إلى نهاية الطريق نفسها التي وصل إليها الشاعر.

وحيث إن نص الشاعر جاء في النصح والإرشاد في خاتمته فإنه لجأ إلى استعمال الأحرف المقترنة بفعل الأمر كالفاء والواو، ولم يأت به متجرداً منها إلا في مكان وحيد، وذلك أن كّلاً من الفاء والواو خرجتا بالفعل عن الشدة والخشونة، وأكسبتا معاني الأفعال شيئاً من الليونة والهدوء توافقاً مع النصح والإرشاد اللذين يتطلبان هذه الليونة.

ولتأكيد الترتيب المنطقي لنص الشاعر الطغرائي، وعنايته بالأحداث وترتيبها الزمني، نشير إلى أن الشاعر بدأ القصيدة بالأفعال التي تدل على الحدث الماضي، وذلك من البيت الأول حتى البيت السابع، ولم يتطرق في هذه الأبيات الأولى إلى أي شيء يخص الاستقبال؛ حيث إن المقام ليس مقام تفاؤل، ولا تنبؤ بالمستقبل بعد.

وإذا ذهبنا إلى نهاية القصيدة حيث يقول الشاعر فيها: (قد رشحوك لأمر إن فطنتَ له.. فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل). استعمل الشاعر ثلاثة أفعال تدل على الاستقبال في بيت الخاتمة، تأكيداً منه ضرورة الحذر والحيطة، وألا ينجر المنصوح لما وقع فيه الناصح من قبل، فجاء هذا التكرار مرتبطًا بالمعنى الذي يرمي إليه الشاعر، ولم يكن عبثيّاً.

ومن خلال نظرة إلى حقل الأحداث في القصيدة، نلاحظ ما يأتي:

- شبه تساوٍ بين حقل الأفعال الماضية وأفعال المضارعة، بيد أن الأخيرة كانت أكثر حضورًا بعدد (39) فعلاً، في مقابل (35) فعلاً ماضياً، وأما الأفعال الدالة على الاستقبال فكانت الأقل حضوراً، ودلالة هذا أن الشاعر لا يجد جدوى من التفكير في المستقبل والبحث عن الحلول لمشكلته، بل يكتفي بعرضها وتقديم النصح للقادمين من بعده لتجنبها، كما أن هذا الاستعمال يدل على الحالة النفسية المتردية التي يعيشها الشاعر في أثناء نظمه للقصيدة، وأنه يحاول الخلاص من حاضره بالاتكال على تبريرات ماضية.
- بدأ الشاعر قصيدته بالأفعال الماضية؛ مما جعل المقدمة منطقية في التطرق إلى حياته السابقة، لتكون بذلك تمهيداً للقرارات التي سيتخذها لاحقاً، أو التي اتخذها في قرارة نفسه.
- اقتصر الشاعر في الأفعال المستقبلية على المخاطب إلا في موضعين: (فإن علاني من دوني)، (حتى أرى دولة الأوغاد والسفل)، وفي السياقين كانت الدلالة سلبية لا توحي بالأمل، أو بجزء منه.

- إن عدم نسبه للأفعال الدالة على الاستقبال لنفسه بحالتها الإيجابية دليل على أن الشاعر فقد الأمل من المستقبل، وهو يحاول أن يتخلص من حاضره، وينسى ماضيه، معتبراً أن الوقت قد فات على التفكير في مستقبل أفضل له، ومكتفياً بتوجيه النصح والإرشاد للمقبلين على الحياة.
- لم يستعمل الشاعر أسلوب التفضيل إلا مرة واحدة، ويعود ذلك إلى الاضطراب والشعور بالفقد والخسارة؛ إذ لم يكن الميدان وقتئذ ميدان تفاضل بقدر ما هو ميدان تبرير وشكوى.

ثانيًا- مظاهر التعدد الدلالي:

تتمخض ظاهرة التعدد الدلالي عن مجموعة من الظواهر اللغوية الفرعية في:

1- ظاهرة الترادف:

وهي دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد، والمترادفات ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق، غير أن الترادف التام نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر.

وقد اختلف اللغويون في وقوع الترادف في لغتنا العربية اختلافاً كبيراً، فمنهم من أنكره، ومنهم من أيدّه[40]. وبعض علماء اللغة -غير المؤيدين للترادف في اللغة العربية - يعدون الكلمات المتقاربة في المعنى، أو التي تدل جميعها على شيء واحد هي جميعها صفات له، فإنهم يبنون رأيهم على قول ابن فارس: «يسمَّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحدٌ وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفاتٌ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى»[41].

وعرف الفخر الرازي الترادف بقوله: «الألفاظ المترادفة: هي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد، باعتبار واحد، واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد، ولكن باعتبارين؛ أحدهما على الذات والآخر على الصفة»[42]. ونجد تعريف الرازي يقترب من تعريف أحد اللسانيين المعاصرين الذي حدد المترادفات قائلاً: «إنها الكلمات متحدة المعنى التي تقبل التبادل فيما بينها في أي سياق»[43].

ولأننا نذهب مع رأي من شككوا بوجود الترادف في اللغة العربية، ولسنا مع رأي الترادف التام بل شبه الترادف، أو الجزئي، بحسب ما قسمه علماء البلاغة؛ حيث إن اللغة العربية عن سائر اللغات العالمية، تتمتع بميزة الدلالة المنفردة لكل كلمة، ولكل حرف، ولهذا فإن الترادف الذي سنقوم بإحصائه في مجمله ترادف جزئي، وإن كان في ظاهره يشير إلى وحدة الغرض. ومن أنواع الترادف في النص:

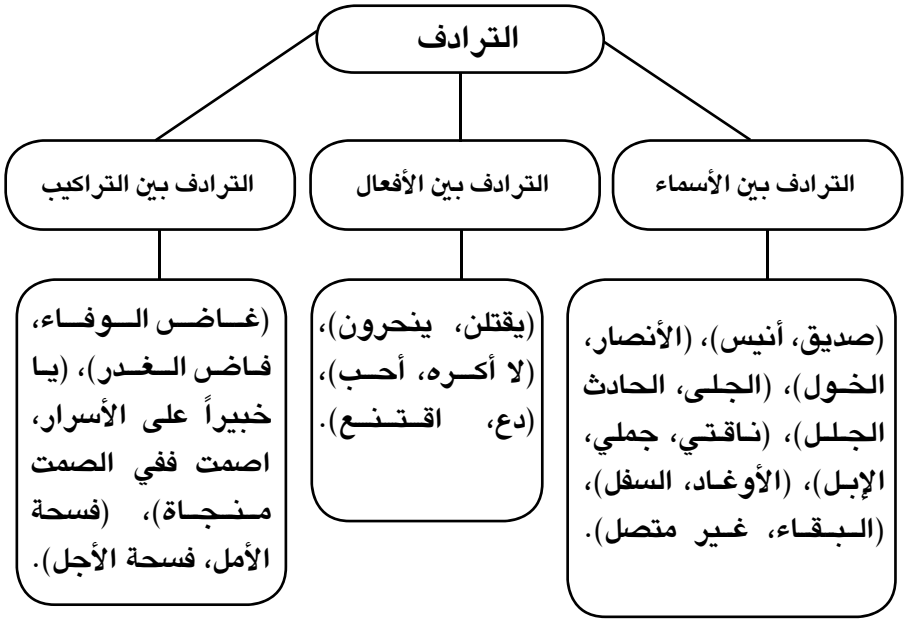

ولتوضيح شبه الترادف في الأسماء، أو تقارب الدلالة بين بعض مفردات القصيدة، قوله:

فَلا صَديقَ إليهِ مُشْتَكَى حَزَني وَلا أَنِيسَ إليهِ مُنتَهَى جَذَلي

الصديق: الصاحب الصادق الود، وقد يستعملُ للواحِدِ والجمع والمؤنث، والأنيس: كلُّ مأْنوس به هو مؤانس، ويقال: هو أَنيسي وجليسي. فالدلالة المركزية المعجمية لكل من اللفظين مختلفة عن الأخرى، بيد أن اجتماع بعض صفات الأولى مع بعض صفات الأخرى أكسبهما خاصية الترادف في المعنى.

أما في الأفعال كما في قوله:

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لا حِرَاكَ بِهِمْ وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ وَالإِبِلِ

قَتَلَ الحيوانَ أو الإنسانَ أي أماتَه، ذبَحَه، أزْهَقَ روحَه، فتَك به، مهما كان الموضع في الجسد الذي حصل منه إزهاق الروح، أمَّا نَحَرَ: أي ذبح في النحر، أو ضرب في النحر المؤدي إلى إزهاق الروح. فالدلالة المركزية لكلا الفعلين مختلفة، بيد أن اجتماعهما في إزهاق الروح جعلهما مترادفين في الدلالة، أو غاية الفعل.

وفي التراكيب كما في قوله:

غَاضَ الوفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسَافَةُ الخُلْفِ بَيْنَ القَوْلِ والعَمَلِ

غاض الماء: أي غاب في الأرض، وفاض النهر: أي كَثُرَتْ مِيَاهُهُ وَسَالَتْ مِنْ ضِفَّتِهِ. وعندما استعمل الشاعر هذين الفعلين في غير دلالتهما الأصلية، حين جعل الوفاء غائباً والغدر حاضراً، فإن الدلالة المشتركة هي ضرورة حضور أحدهما عند غياب الآخر، وسواء أكان غياب الوفاء أم حضور الغدر واقعاً، فالدلالة سلبية تشير

إلى الاضطراب الأخلاقي، وحمل التركيبان الدلالة نفسها من هذا المعنى المستفاد، فكانا مترادفين في الدلالة على الشيء الواحد.

وتجدر الإشارة إلى أن خصائص الحقول الدلالية التي يحملها الترادف في جميع ما ذكرنا من المظاهر التي ورد فيها تدور حول التأكيد والثبات على حقيقة العنصر، أو السمة المراد تأكيدها باستدعاء مرادفاتها، وفي ذلك قال ابن جني: «إن العرب تضع اللفظتين لمعنى واحد، وهو ما يعرف بالترادف، وذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها، وسعة تصرف أقوالها»[44]، ويقول السيوطي: «إن للترادف فوائد منها: أن تكثر الوسائل –أي الطرق– إلى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي أحد اللفظتين، أو عسر عليه النطق به... ومنها التوسع في طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر؛ وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ»[45].

وقد أكد قدامة بن جعفر أهمية الترادف، وحاجة الأدباء إليه، وهذا ما دفعه إلى وضع كتاب جواهر الألفاظ الذي قال في مقدمته: «هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة تدل على معان متفقة ومؤتلفة، وأبواب موضوعة بحروف مسجوعة مكنونة متقاربة الأوزان والمباني، ومتناسبة الوجوه والمعاني، تونق أنظار الناظرين، وتروق بصائر المتوسمين، وتتسع بها مذاهب الخطاب، وتنفسح معها بلاغة الكتَّاب؛ لأن مؤلف الكلام البليغ الفصيح، واللفظ المسجع الصحيح، تناظم الجواهر المرصع، ومركب العقد الموشح، يعد أكثر أصنافه؛ ليسهل عليه إتقان رصفه وإتلافه»[46]، حتى وإن أعاب بعض النقاد على الشاعر الإتيان بالمرادفات في قافية البيت، وعدوه يضعف المعنى الشعري، إلا أن حضورها في اللامية في بعض الأماكن (الأنصار

والخول، الحلي والحلل) دلالة تأكيد الفقد والوحدة في الأولى، وتعزيز سمة الجمال وإبراز عنصر الغزل في الأخرى.

وهذا ما أشار إليه أولمان بقوله: «فإن مجرد التنويع باستعمال المترادفات قد تصبح تنويعاً مصطنعاً لا روح فيه، فإن المترادفات يمكن أن يكون لها وظيفة أسلوبية مهمة إذا استغلت بمهارة؛ إذ يمكن استغلالها للدلالة على ألوان المعنى وظلاله المختلفة»[47].

2- ظاهرة الطباق/ التضاد:

قال أبو هلال العسكري: «قد أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين شيء في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد»[48].

وللطباق أثر كبير في النصوص الأدبية؛ إذ من شأنه أن يجعل للنص روحاً ناطقة تؤثر في المتلقين؛ لأن الجمع بين المتضادين يضيف جمالية في الأسلوب، وروعة في المعنى، فضلاً عن إعطاء النص جاذبية فعالة؛ لأن جرس اللفظة المضادة تؤثر في المستمع تأثيراً يكاد أن يخطف قلوبهم، ويأخذ بمسامعهم لما له من التأثير الروحي فيهم، وإننا نجد أكثر محسن بديعي استعان به الشاعر في نصه هو التضاد/الطباق، ويمكن الجزم بأنه أبرز سمة في القصيدة، فإننا نقف على مواضع التضاد في النص، التي نصنفها على الشكل الآتي:

التضاد
التضاد بين الأسماء
التضاد بين الأفعال
التضاد بين التراكيب
(الخطل، الفضل)، (أخيراً، أولاً)، (الضحى، الطفل)، (الإقامة ناء)، (الأسرار، مطلعاً)، (حزني جذلي)، (الكرام، الهمل)، (معوج، بمعتدل)، (كدر، صفو)، (البحر، الوشل)، (القول، العمل)، (انحطاط، العلا)، (غمار، بالبلل)، (العز، الذليل)، (عن المعالي، الكسل)، (البيض، السمر)، (الحب، العدا)، (الكرائم، البخل)، (البرء، عللي)، (الأستار، الكلل)، (صدقك، كذبهم)، (البيد، البحر)، (صديق، العدا)، (الشمس، الليل)، (فضلي، نقصهم)، (البقاء، لا ثبات بها).
(يعكس، يقنعني)، (طرد، أغرى)، (طردتُ، أدعوكَ)، (لتنصرني، تخذلني)، (تعين، يزجر)، (أكره، أحب)، (يثني، يغري)، (فاتخذ، ودع)، (جنحت إليه، فاعتزل)، (أضيق، فسحة)، (علاني، من دوني)، (وثقت به، فحاذر الناس)، (أعدى، وأصبحهم)، (حسن ظنك، فظن شرًّ)، (مقبلة، ولت).
(حلو الفكاهة، مر الجد)، (شدة البأس، رقة الغزل)، (عين النجم، صبغ الليل)، (تبينت نار القرى منهن في كبد حرى، ونار القرى منهم على القلل)، (نفقاً في الأرض، سلمًا في الجو)، (خفض العيش، رسيم الأينق الذلل)، (نام عنهم، تنبه لي)، (تقدمتني أناس، وراء خطوي)، (ضيق العيش، فسحة الأمل).

جاءت دلالة التضاد في النص لإبراز عناصر على غيرها، ثم تمييز هذه العناصر باستدعاء نقيضها الآخر، لتأكيد أهمية الموجود، جودته أو رداءته، حسنه أو قبحه، إيجابيته أو سلبيته. فعلى سبيل المثال حينما يأتي الشاعر بقوله:

أُعَـلِّـلُ الـنَّـفْـسَ بـالآمَـالِ أَرْقُـبُـهَـا مَـا أَضْـيَـقَ الـعَـيْـشَ لَـولا فُـسْـحَـةُ الأَمَـلِ

فإن التضاد واقع بين (ضيق العيش، فسحة الأمل)، والذي يكسب تركيب (فسحة الأمل) معناها العميق الذي يقصده الشاعر، هو أنه وضع التلقي أمام الصورة الواقعية للعيش الضيق في حال عدم وجود الأمل؛ مما جعل المتلقي ينجذب إلى التركيب الإيجابي بعد التفكر في الآخر السلبي ومعرفة مساوئه.

3- ظاهرة الاشتراك اللفظي:

وهو «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل اللغة»[49].

وكما وقع الخلاف بين اللغويين حول وجود المترادف في اللغة فأنكره بعضهم وأيده آخرون، نجد الأمر يتكرر هنا كذلك، فهذا ابن دستوريه المعارض لوجود الترادف في اللغة الواحدة – كما ذكر السيوطي–[50] ينكر كذلك أن يكون للفظ (النوء) معان مختلفة؛ حيث يقول « النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم»[51].

وتجدر الإشارة إلى أن المحدثين مجمعون على وجود المشترك اللفظي في اللغات المختلفة، ومنهم أولمان[52]، وفندريس[53]، وإبراهيم أنيس[54]، ويعني المصطلح ظاهرة دلالية تعرفها جميع اللغات، وهي تعدد دلالات، أو معاني اللفظ الواحد.

ومن أمثلته في القصيدة:

أحاديث الكرام	ما بالكرائم	كرام الخيل
الكرام جمع كريم وهو الكثيرُ الخير الجواد	الكرائم هي جمع الصفات الحسنة التي يتحلى بها الكرام	كرام الخيل هي الخيل الأصيلة ذات النسب المعروف

الاشتراك اللفظي: مع أن جذر الكلمة واحد فإنها دلت على ثلاثة معانٍ مختلفة في سياقات متفرقة؛ فاشتركت المعاني في اللفظ الواحد، وقد حافظ الشاعر على الدلالة التي يفيدها كل من (الكرام، الكرائم، كرام الخيل).

نار الهوى	نار القرى
نار الهوى كناية عن الحب والشوق وجذوتهما في النفس	نار القرى جاءت بالمعنى الأصلي للنار

الاشتراك اللفظي: تفيد الدلالة أنّ هذا الحي الذي يريد الشاعر طروقه له ناران: نار نسائه اللواتي يبتن في كبده الحرى، ونار رجاله الذين يبيتون موقدين للنار في القمم ليهتدي الضيف إليهم كي يكرموه، ويولوا له، وهذا غاية في المدح لهذا الحي؛ لأن نساءه حِسان، ورجاله كِرام، وقد استعمل الشاعر مفردة النار على معنيين مختلفين، أشار بالأول إلى نساء الحي والآخر إلى رجالها، بلفظ واحد مختلف المعنى باختلاف القرين اللاحق له.

وتجدر الإشارة إلى أن التحول الدلالي من المعنى الأصلي للنار إلى المعنى المجازي في قول الشاعر (نار الهوى)، تحول مطروق من قبله، وكُثْر هم الشعراء الذين سبقوا الشاعر إلى هذا التحول الدلالي حين جعلوا دلالة النار رمزية في معانيهم.

بغزلان	أغازلها
الغزلان معروفة أنها فصيلة من الحيوانات البرية الأليفة ذات الشكل الحسن.	والغزل هو نمط من أنماط التعبير عن خلجات النفس إزاء المحبوب.

الاشتراك اللفظي: تقارب اشتراك المفردتين في اللفظ أنتج معنيين مختلفين تماماً أحدهما عن الآخر.

الاشتراك اللفظي: الجذر الواحد لكل من اللفظين والمؤدي إلى الدلالة نفسها.

سود الغدائر حُمرُ الحلي	والحُلَل	فنفحة الطيب تهدينا إلى الحِلل
ما تتزين النساء من الحلي كالمجوهرات، وما إلى ذلك. وقد بين الشاعر أن لون الحلي أحمر، أو من الذهب الموسوم بالأحمر.	اللباس الذي يتكون من ثوبين، وأشار إلى أن لونه أحمر أيضاً.	الحلل: جمع حلة وهي بيوت القوم.

الاشتراك اللفظي: اختلاف المعنى على الرغم من اتفاق اللفظ. تجدر الإشارة إلى اتفاق الدلالة بين (الحلي والحلل)؛ حيث يكون كلاهما للزينة، ويدلان على الثراء.

رضَى الذليلِ بخفضِ العيشِ يخفضُه	والعِزُّ عندَ رسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ
الذليل: ضد العزيز.	الذلل: تعود على النوق التي يقصدها الشاعر بأن العز عند جهوزيتها، وسميت ذلولاً؛ لأنها تستكين لصاحبها، ولا تعانده، ومنها الطريق الذلول أيضاً؛ أي المهدة التي لا تُشقي من يسير عليها.

الاشتراك اللفظي: اختلفت دلالة كل من (الذليل) و(الذلل) على الرغم من اشتراكهما في اللفظ، وقد حدد معنى كل منهما السياق نفسه.

إن الاشتراك اللفظي الذي ذهبنا إليه في بعض المفردات قد لا يكون بالدقة نفسها بما يعنيه المصطلح من معنى، بيد أن إيرادنا للمفردات التي تتضمن أكثر عدد من الأحرف المتاشبهة في أصل بنيتها يعود إلى رغبتنا في إظهار عناية الشاعر بالجرس الموسيقي من اختيار كلمات بعينها متقاربة في مخارج الحروف، لتوافق موسيقا النص الخارجية موسيقاه الداخلية الحزينة.

* * *

النتائج:

يمكن لنا بعد دراسة الحقول الدلالية في لامية الطغرائي أن نخرج بالنتائج الآتية:

1-حقل الموجودات:

أ- حقل الموجودات الحية:

- الألفاظ المتعلقة بالإنسان والألفاظ الدالة عليه: كان تركيز الشاعر على إبراز حقل الألفاظ الدالة على الأعداء والأصدقاء أكثر من تركيزه على إبراز الألفاظ الدالة على الأهل والأقارب.
- الألفاظ المتعلقة بالحيوان: اقتصر الشاعر في قصيدته على أربعة أنواع من الحيوانات، هي: «الإبل، الخيل، الغزلان، الأسود»، التي يمكن اعتبارها العناصر الرئيسة للحياة الحيوانية في الصحراء عموماً، واستعمل الشاعر الإبل والمفردات الدالة عليها (الإبل، الجمل، الناقة، الأينق الذلل، راحلتي)، خمس مرات في النص، فهي الطاغية على المعجم الحيواني قياساً إلى غيرها من عناصر هذا المعجم، ولعل الحالة الخاصة التي يعيشها الشاعر في رغبته بالهجرة، وعزمه على الرحيل عن بغداد، قد حرك غريزته ومرجعيته الثقافية لاستحضار مستلزمات الرحلة، والتركيز عليها أكثر من سواها، فمن هنا فقد اعتمد على الإبل أكثر من سواها؛ حيث إنها تسمى سفينة الصحراء، والراحلة الأساسية في السفر بين البوادي آنذاك، بينما لم نجد أي ذكر للزواحف والطيور في حقل الحيوانات.

كما أن غياب بعض عناصر المعجم الحيواني كالحشرات تشير إلى أن الشاعر لا يعنى بصغائر الأمور، وأن حكم عزله كان مدبراً من سادة القوم آنذاك، وليس من صغار العاملين في الحكم، كما أن غياب فئة الطيور من الحقل المعجمي نفسه يشير إلى الحالة النفسية الرثة للشاعر الذي لم يعد يرغب في التحليق، فاكتفى بالأرض مسكناً

بعد أن سقط من الأعلى، ولعل في قوله «انحطاط الشمس» ضمن معجم الموجودات غير الحية، الدلالة نفسها لما ذهبنا إليه في البند السابق في تسويغ عدم استخدام الشاعر لفئة الطير في المعجم الحيواني، تأكيدًا منه عدم رغبته بالنهوض وإن مؤقتاً؛ حيث إن زمن نظم القصيدة كان ولا يزال في محيط صدمة الغربة والنفي.

- الألفاظ الدالة على النبات: اعتنى الشاعر بالنبات الذي يفيد دلالة الحماية والملاذ الآمن، مثل (الكناس، غاب من الأسل، الغيل).

ب- حقل الموجودات غير الحية:

- الموجودات الجغرافية: استعمل الشاعر مفردات معجم الموجودات السماوية بشكل أغزر وأكثر من استعماله لمفردات معجم الطبيعة الجغرافية الأرضية، فورد اسم الشمس صريحاً أربع مرات في القصيدة، كما ورد اسم الليل صريحاً ثلاث مرات، وجاء اسم الكوكب (زحل) مرة واحدة، وكذلك حديثه عن الأبراج السماوية. ويشير هذا الاقتصار إلى أن الشاعر زاهد بالأمكنة الجغرافية التي يقيم فيها؛ الأمر الذي دفعه إلى تجاهلها، وأن غربته هي غربة مكانية إضافة إلى كونها غربة نفسية داخلية، وأنه لا يرى في الأرض إلا جانبها السلبي الموحي بالفقد والموت.
- الألفاظ الدالة على الماء: اعتمد الشاعر على توابع المادة أكثر من اعتماده على أصلها؛ أي الماء ذاته، فاقتصر ذكره الصريح للماء في مكانين فحسب، الأول في قوله: (لج البحر) بدلالته الحقيقية بوصفه بحراً، والثاني في قوله: (بمياه الغنج)، لكنه في استعمالها هنا لجأ إلى المفردة الأصلية (مياه) وأبدل دلالتها من خلال السياق الغزلي المستعار الذي وضعها فيه.
- الألفاظ الدالة على الأدوات الحربية: إن السمة البارزة في جميع مفردات السلاح الحربية في النص- سواء أكان ذكرها بالتصريح أم بالتلميح بالصفات المشيرة إليها- وردت إيجابية في مكانها، تعبق بمعاني الفخر والعزة حيناً، والغزل

والجمال حينا آخر.

- الألفاظ الدالة على القوى الطبيعية: ورد ذكر النار فقط، وجاءت في سياقين، الأول يعني النار بدلالتها الأصلية، والثاني يعني النار الرمزية، وهي نار الشوق والحب.

2- حقل المجردات:

- الألوان: اقتصر الشاعر على الألوان الثلاثة الرئيسة بحسب تصنيف العرب، الأبيض والأسود والأحمر، كما نلاحظ أن الشاعر قد جمع ثلثي معجم اللون عنده في بيت واحد؛ حيث يقول:
- «يحمون بالبيض والسمر اللدان به// سود الغدائر سمر الحلي والحلل».
- ثنائية التفاؤل واليأس: كان حضور الألفاظ الدالة على اليأس أكثر.
- ثنائية الفضيلة والرذيلة: كان حضور الألفاظ الدالة على الفضيلة أكثر.
- ثنائية الشجاعة والخوف: كان حضور الألفاظ الدالة على الشجاعة أكثر.
- ثنائية الحياة والموت: شبه تساو بين استعمال ألفاظ كل منهما.

3-حقل الأحداث:

- من خلال إحصاء الألفاظ الدالة على ثنائية الحركة والثبات وجدنا أن حقل الحركة أغزر وأكثر حضوراً من الآخر الثابت الساكن، ونلاحظ الفرق الشاسع بين غزارة مفردات كلا المعجمين، كما لم يستحضر الشاعر مفردات الثبات إلا للدلالة على الإيجاب في معظم ما تناوله، في حين جاءت الحركة -كما أسلفنا- أغزر في دلالة على أن الشاعر مضطرب إزاء الأحداث التي ألمت به، وكأن الشاعر يعقد مقارنة بين الحركة والثبات ليخلص إلى أن اللاحركة أو الثبات هو المتحكم في النص.
- افتتح الشاعر نصه بصيغة الماضي أسفاً على حياته السابقة التي أهدرها من وجهة نظره، ومفتخراً في الوقت نفسه بخصاله الحميدة التي تحلى بها في حياته،

ثم ختم الشاعر قصيدته بصيغة الاستقبال التي أبقت باب الأمل مفتوحاً دون إغلاقه بصيغة الحاضر.

- شبه تساوٍ بين استعمال الأفعال الماضية والأفعال المضارعة، بينما كان حضور الأفعال الدالة على الاستقبال أقل منهما.
- حضور الأفعال المتعلقة بالغائب جاء أكثر غزارة من حضور الأفعال المتعلقة بالمخاطب والمتكلم.

4-مظاهر التعدد الدلالي:

- الترادف: ضم النص ترادفاً بين الأفعال، وترادفاً بين الأسماء، وترادفاً بين التراكيب، وقد كان الترادف فيما بينها دلاليّاً في وحدة الغاية والمعنى الواحد، في حين أن كلاً منها تميز بمعناه الخاص به، بيد أن الدلالة التي يفيدها توافقت مع الدلالة التي يفيدها اللفظ المقارب له في المعنى، فأصبحا مترادفين دلاليّاً، ومن أمثلة ذلك: (الصديق، الأنيس)، (يقتلن، ينحرون).
- التضاد/ الطباق: يعد التضاد المظهر الدلالي الأكثر انتشارًا في النص إزاء الترادف والتشارك اللفظي، وقد ساعد هذا الانتشار في إبراز عناصر ومعانٍ أكثر من سواها.
- التشارك اللفظي: وجدنا استناد الشاعر إلى مجموعة من المفردات المتقاربة لفظيّاً، وإن كان لكل منها معنى مختلف عن الآخر، كما في قوله: (نار الهوى، نار القرى) فإن التشارك اللفظي بين النار في كل منهما متفق تمامًا، بيد أن النار تحولت دلاليّاً من معناها الأصلي إلى المعنى المجازي.
- يقوم النص على القلق والتوتر والحركة لا على الثبات والتوازن والسكون.
- التنوع الحقلي المعجمي في النص يشير إلى استغلال الشاعر كل مكونات بيئته ومحيطه لتوظيفها في القصيدة، ولعل هذا من الدعائم التي جعلت القصيدة محط عناية كثير من النقاد والشراح؛ إذ توافق مفرداتها المتنوعة الغزيرة ميول متلقيها.

- تسليم الشاعر بالأمر الواقع، وعدم رغبته في الانتقام، والاكتفاء بالصبر والمؤانسة؛ مما يشير إلى سلميته.
- الحالة النفسية المضطربة للشاعر جعلته ينظر إلى الحياة نظرة سوداوية متشائمة.

التوصيات:

1- إن دراسة الحقول الدلالية في النصوص الأدبية من شأنها أن تضع الشارح في قلب المعنى، فتكشف له المفرداتُ المصفوفةُ عن ميول الشاعر، وحالته النفسية ومشاعره وبيئته، وهذا هو أساس الشرح، وإنني أرى تطبيق هذا النوع من الدراسات على النصوص الشعرية الخالدة في التراث العربي؛ كلامية العرب للشنفرى، والبردة لكعب بن زهير، وكذلك بردة البوصيري، وغيرها.

2- تطبيق الحقول الدلالية لدراسة نسب التشابه والاختلاف بين شعراء المعلقات في عصر ما قبل الإسلام، بالمقارنة بين معاجمها وحقولها، خصوصاً أن الشعراء أبناء بيئة واحدة، ومن المفترض أن تمدهم بالمفردات نفسها، وأعتقد أن النتيجة ستكون مرضية في أثناء دراستها.

* * *

الهوامش

1- أحمد عزوز **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002، ص 13.

2- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**، دار عالم الكتب، لا ط، 2003، ج 16، ص 185.

3- للاستزادة انظر: أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002، ص 47.

4- انظر ترجمته في كل من: السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، **الأنساب**، تقديم: عبد بن عمر البارودي، ط١، (بيروت: 1988)، دار الجنان، 393/5، ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين، **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، حققه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدم له: عمر فاروق الطباع، ط1، (بيروت: 1999)، مؤسسة المعارف، مج 30/4-31؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، وثقه: علي محمد معوض وعادل وأحمد عبد الموجود، وضع حواشيه: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط٢، (بيروت:2005)، دار الكتب العلمية، 207/12؛ كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، (بيروت:1957)، دار إحياء التراث العربي، 36/4؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1990، م2، ص 185-188.

5- **ديوان الطغرائي**، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1300 هـ، ص 54-56.

6- حسن ظاظا، **كلام العرب – من قضايا اللغة العربية**، ط1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1970، ص 20.

7- وليم راي، **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية** ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، دار الحرية للطباعة، (د . ت)، ص 125.

8- محمود السعران، **علم اللغة**، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، (د .ت)، ص 303.

9-إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م، ص 107، 173.

10- إبراهيم بن مراد، **الوحدة المعجميّة بين الإفراد والتضام والتلازم**، في «مجلة الدراسات المعجمية» (المغرب)، (2006)، العدد الخامس، ص 23-31. نفسه، **من مشاكل الترجمة في المعجم**، «في الحياة الثقافية» (تونس)، 172 – أفريل 2006، العدد 172 (ص35 – 45). نفسه، **المعَالجة القَامُوسيّة للوَحَدات المُعْجميّة العربيّة المركبة والمعقّدَة والعبَاريّة**، نظَراتٌ في منهَج الترتيب، «مجلة الدراسات المعجميّة بالمغرب»، العدد7، 2008.

11- علي زوين، **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث**، «مجلة آفاق عربية»، السنة 15، أيار 1990، ص 73.

12- أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، ص 8.

13- محمود بن عمر الزمخشري، **المفصل في علم العربية**، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (بالأستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ، ص6.

14- عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل، شرح ابن **عقيل على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964، م1، ص 15.

15- علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ص 16.

16- تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ط2، المغرب: دار الثقافة، 1974، ص 232.

17- أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، ص 21.

18- للاستزادة انظر: عبدالعزيز المهيوبي، **صناعة المعجم والحقول الدلالية**،

http://www.lisan1.com/a/?q=node/177

19- أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، ص 89.

20- **المصدر نفسه**، ص 11.

21- **المصدر نفسه**، ص11.

22- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ط 5، القاهرة: عالم الكتب، 1998، ص 79.

23- أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، ص 10.

24- **المصدر نفسه**، ص 47.

25- انظر: حسن نصار، **المعجم العربي ونشأته وتطوره**، ط4، القاهرة: دار مصر للطباعة، 1988، ص 100.

26- محمود محمد العامودي، **شرح لامية العجم للشيخ العالم زين الدين بن محيي الدين الأنصاري**، «مجلة الجامعة الإسلامية في غزة- فلسطين»، سلسلة الدراسات الإنسانية، يونيو 2011، المجلد 19، العدد2، ص 895.

27 - انظر: علي جواد الطاهر، **الطغرائي: حياته، شعره، لاميته**، ص 31.

28- ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 2003. (مادة كبد).

29- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص 186.

30- حسن نصار، **المعجم العربي ونشأته وتطوره**، ص 100.

31- **المصدر نفسه**، ص 101.

32- **سورة الأنعام**: 35.

33 - عبدالقادر الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري: في النظرية والتطبيق**، ط 2، عمَّان: مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، 1995، ص 212.

34 - أبوعبدالله النمري، **الملمع**، تحقيق: وجيه السطل، دمشق 1979، ص 7.

35 - إبراهيم خليل، **ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب**، المملكة الأردنية، دراسات، «مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية»، 2006، العدد 33، المجلد 3، ص 446.

* مُصطلح كان يُسْتَخْدَم بكثرة في العالم الإسلامي في الفترة ما بين القرن العاشر والخامس عشر الميلادي، ويعني قائداً حربياً.

انظر: **قاموس المصطلحات الكنسية**، http://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/1-

html.esfehslar/Alef_Terminology-Coptic

36- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، 1997، ج 4، ص 500.

37- حسن فاضل جواد، **الأخلاق في الفكر العراقي القديم**، ط1، بغداد، بيت الحكمة، 1999، ص 48.

38- خليل الموسى، **بنية القصيدة العربية المعاصرة المتكاملة**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2003، ص146-147.

39- محمود عكاشة، **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية**، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، د. ط، 2005، ص 102.

40- انظر: أحمد مختار عمر، **ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين**، «المجلة العربية للعلوم الإنسانية»، الكويت، مج 2، ع 6، ربيع سنة 1982م، 10-12.

41- جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، شرحه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، صيدا- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط1، 1986، 404/1. وانظر: إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م، ص 176.

42- فخر الدين الرازي، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق: طه جابر العلواني، الرياض: لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1979م، ص 347. وانظر: جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، 404/1.

43- أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: د. كمال بشر، القاهرة: مطبعة الشباب، 1975م، ص 97.

44- أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1999م، 373/1.

45- جلال الدين السيوطي، المزهر **في علوم اللغة**، 406/1.

46- قدامة بن جعفر، **جواهر الألفاظ**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، 8/7.

47- أولمان، دور **الكلمة في اللغة**، ص 99.

48- العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، 1971م، ص 316.

49- بلاسي، محمد السيد علي، **الترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأثر كل منها في نمو العربية**، «مجلة اللسان العربي»، ع 33، 1989م، ص 110.

50- جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، 404/1.

51- **المصدر نفسه**، 396/1.

52- أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص7.

53- فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص 227-228.

54- إبراهيم أنيس، في **اللهجات العربية**، ص 192. وانظر، نفسه، **دلالة الألفاظ**، ص 208.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم.

2- أنيس، إبراهيم:

- دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م.

- في اللهجات العربية، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م.

3-خليل، إبراهيم، **ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب**، المملكة الأردنية، دراسات، «مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية»، 2006م، العدد 33، المجلد 3.

4-مراد، إبراهيم:

- المعَالجة القَامُوسيّة للوَحَدات المعْجميّة العربيّة المركبة والمعقّدَة والعبَاريّة، نظَراتٌ في منهَج الترتيب، «مجلة الدراسات المعجميّة بالمغرب»، العدد7، 2008م.

- الوحدة المعجمّية بين الإفراد والتضام والتلازم، في «مجلة الدراسات المعجمية» (المغرب)، العدد الخامس، 2006م.

- من مشاكل الترجمة في المعجم، «مجلة الحياة الثقافية»، تونس، 17 – أبريل 2006م، العدد 172.

5- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، 1997م.

6-ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1990م.

7-ابن منظور، **لسان العرب، ط**3، دار صادر، بيروت، 2003م.

8-النمري، أبوعبدالله، **الملمع**، تحقيق: وجيه السطل، دمشق، 1979م.

9-عزوز، أحمد، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.

10-عمر، أحمد مختار:

- ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، «المجلة العربية للعلوم الإنسانية»، الكويت، مج 2، ع6، ربيع سنة 1982م.

- علم الدلالة، ط 5، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.

11-إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، وثقه: علي محمد معوض وعادل وأحمد عبد الموجود، وضع حواشيه: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

12-أولمان، دور **الكلمة في اللغة**، ترجمة: د.كمال بشر، مطبعة الشباب، القاهرة، 1975م.

13- **تمام، حسان، مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، المملكة المغربية، 1974م.

14-السيوطي، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة**، شرحه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، صيدا- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط1، 1986.

15-العسكري،الحسن بن عبدالله بن سهل، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، دمشق، 1971م.

16-ظاظا، حسن، **كلام العرب – من قضايا اللغة العربية**، ط1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1970م.

17-جواد، حسن فاضل، **الأخلاق في الفكر العراقي القديم**، ط1، بيت الحكمة، بغداد، 1999م.

18-حسين نصار، **المعجم العربي نشأته وتطوره**، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988م.

19-الموسى، خليل، **بنية القصيدة العربية المعاصرة المتكاملة**، لا ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

20-السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور **الأنساب**، تقديم: عبد بن عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، 1988م.

21-المهيوبي، عبدالعزيز، **صناعة المعجم والحقول الدلالية**، 2002م.

http://www.lisan1.com/a/?q=node/177

22-الرباعي،عبدالقادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري: في النظرية والتطبيق**، ط 2، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، عمَّان، 1995م.

23-ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن، **شرح ابن عقيل على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964م.

24-ابن جني، عثمان **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.

25-الأشموني، علي بن محمد بن عيسى **شرح الأشموني على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

26-الطاهر، علي جواد، **الطغرائي: حياته، شعره، لاميته**، (بحث وتحقيق وتحليل)، ط1، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1963م.

27-زوين، علي، **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث**، آفاق عربية، السنة 15، أيار 1990. 32-

28-كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م.

29-الرازي، فخر الدين، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق: طه جابر العلواني، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1979م.

30-فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.

31- ابن جعفر، قدامة، **جواهر الألفاظ**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

32-حسام الدين، كريم زكي، **التحليل الدلائي إجراءاته ومناهجه**، لا ط، د. ت.

33-بلاسي، محمد السيد علي، **الترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأثر كل منها في نمو العربية**، «مجلة اللسان العربي»، ع 33، 1989م.

34-السعران، محمود، **علم اللغة**، د. ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د .ت.

35-الزمخشري، محمود بن عمر، **المفصل في علم العربية**، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (بالاستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ.

36-عكاشة، محمود، **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية**، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، د. ط، 2005.

37–العامودي، محمود، محمد، **شرح لامية العجم للشيخ العالم زين الدين بن محيي الدين الأنصاري**، «مجلة الجامعة الإسلامية في غزة– فلسطين»، سلسلة الدراسات الإنسانية، يونيو 2011م، المجلد 19، العدد2.

38–راي، وليم، **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، دار الحرية للطباعة، د. ت.

39–الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، حققه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدم له: عمر فاروق الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.

The poet was of the nature of the peace, and that the movement consumed his thinking during the writing of the poem. Him being a wanderlust and in constant serach for ways of salvation, which was adopted in his lexical choices, was the presence whatever was the marginalization of some of them a sign of the deteriorating psychological case of the poet AlTughrai then.

The poem is a rich material for the study of lexical choices, due to the attention of the poet for its vocabulary. This rhythm-based poem is an indication of its litarary reverence and appreciation.

Modern Fields and Semantic Theories in Al-Tughra'ee's *Laamiyyat al Ajam*

Abstract

This study focuses in its entirety on the linguistic study based on the semantic fields in an attempt to uncover some vague features in the text. This was done was done to trace the lexical fields of the vocabulary, then consider the salient features of these words and try to find a relationship between these fields, and the implications of this relationship in order to understand the target text, i.e. Al-Tughra'ee's *Laamiyyat al Ajam*.

The study was divided into two parts; the first part deals with the semantic fields, and it has been studied all of the assets field and abstract field and event field. The second part covers the semantic diversity, such as synonymy, antonymy and homonymy. Semantic significance has been identified in each field and the implications marginal and central features of selectivity in every connotation were determined.

A number of conclusions were drawn from dictionaries and semantic fields, for example: the reliance of the poet on the central semantic meaning more than marginal semantics, and frequency of the third person on the speaker and listener in the events field, and the absence of words on the animal of birds, reptiles and insects fields. In addition, there was a frequent use of the words for camels.

Auther:

Dr. Laila Khalaf Al Sabaan

1- -Ph.D. in General Linguistics, University of Ain Shams 1995.

-Associate Professor, Department of Arabic Language & Literature, Faculty of Arts, Kuwait University..

Publications:

1. Books:

1- **The Development of the Kuwaiti Dialect : A Semantic Study**, Kuwait, That Alsalasel Publishing Co. 1st , 2nd, 3rd 2ditions, and also published by Al Matbaa Al Asriya.

2- **A Glossary of the Kuwaiti Dialect**, 1st edition, That Alsalasel Publishing Co., 2nd edition (2002) published by Specialized Association for Studies and Research, Kuwait.

3- **Language of Contemporary Media**, 1st edition (1999), Dar Alwazan Publishing Co., Kuwait, and 2nd edition (2010), Kuwait, and by Jarir Publishing, Jordan (2013).

2. Articles:

1- Bilingualism", Coordinating Forum for Arab Universities, (2013), **The Anthology of Research Papers,** King Abdullah Center for Arabic Language, Saudi Arabia, Riyadh.

2- "Language of Arab Youth in Modern Media", **Research on the Hybrid Language "Arabizi and Francophone**", by a number of Arab linguists, King Abdullah Center, (2014).

3- "The Evolution of Dialects", **Approaches to Language**, King Saud University, Publication of the Society for Dialects and Folklore, (2011).

4- "A Research on the Cultural Scene in Kuwait", A special issue, **The Arab Writer Journal**, Union of Arab Writers, ARE, Issue # 79,

5- "Sound and Rhythm in the Poetry of Al Khansaa", **Annals of Arts**, King Saud University, Riyadh, May 2016, (forthcoming).

6- "An Approach to Al Adnani and Al Zaabalawi Model of Linguistic Correction", **Journal of the Faculty of Dar Al Uloom**, Cairo University, Egypt, 2013.

7- "Rhythm and Meaning in the Poetry of Labid Bin Rabiaa", **Arab Journal of the Humanities**, Publication Council, Kuwait University, 2011.

Monogragh 471

Modern Fields and Semantic Theories in Al-Tughra'ee's *Laamiyyat al Ajam*

Dr. Laila Khalf alsabaan
Department of Arabic Language, College of Arts
Kuwait University